المشرق

السنة الحادية والثلاثون — اذار ١٩٣٣

المجازفة بالارقام في التاريخ

بقلم حبيب زيات (أڤالون : فرنسة)

توطئة

لا يجهل احد ممن عانى درس ماضي الديار الشرقية ما في استطلاع اخبارها من العقبات والآفات، وما في معارضة روايات النقلة لها من التناقض مرارًا والخلاف، فضلًا عما هنالك من النقص والتقصير في التدوين والابهام وقلة التحقيق. وقد قُدّر لفن الحديث من تفرغ لنقد رجاله ونبه على ما فيه بالنسبة اليهم من صحيح ومرجوح، واختار ما وقع اكثر الاجماع عليه. ولذلك لما اراد الرشيد ضرب عنق احد الزنادقة قال له الزنديق، فيما رواه ياقوت: «اين انت من الف حديث وضعتها على رسول الله وما فيها حرف نطق به؟» قال الرشيد: «اين انت، يا عدوّ الله، من ابي اسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلًا ويخرجانها حرفًا حرفًا!»[1]. واذا ثبت حقًّا ان

١) ارشاد الاريب ١ : ٢٨٥ (طبعة سنة ١٩٠٧) وفي الاصل: «ينحلانها نحلًا» بالحاء.

الحديث نُخل وفَلي تغلية أتت على كل ما وُضع فيه، فلشؤم الطالع لم يقم الى اليوم من ينخل التاريخ ويعارض اقواله المتضاربة وينقدها نقد الصيرفي الجهبذ ويحتفظ بالجيد والراجح . وقد غفل عن هذا الواجب كل من تصدى للتدوين والتأليف حتى القادة من الكتبة المعروفين بالنزعات العصرية . فلا بد للشرقي الراغب في الوقوف على اخبار بلاده، على وجه التحقيق، من الاعتماد على ما ثبت منها في كتب النقّاد الغربيين.

واحقّ ما في التاريخ الشرقي بالنقد والتزييف، واحوجه الى النخل والتصفية، هذه الاحصاءات والارقام التي اغرب المؤرخون بنقلها على علاتها في سياقة الحوادث وتقدير الوقائع، وارسلوها على عواهنها دون اقل نظر او استرابة لها. ولم يكتفوا بالتقليد والنسخ . بل تباروا في المبالغة والتهويل حتى ربما بلغت زيادة الواحد على الآخر اضعاف الاضعاف، بل تجاوز الكيل فيها حدود المئين الى الآلاف . والامثال على هذه المجازفات وافرة جداً، فلا بد من الاقتصار منها على مختارات يسيرة مما هو اقرب متناولاً واعلق بذهن المطالع . نوردها دون تتبع واستقراء لكل ما فيها من الاقوال المتضاربة مجتزئين منها بما هو ادلّ على المراد، واوضح لما في طريقة النقل والتقليد التي اتبعها الرواة في الشرق من التهور وشدة الغفلة والتخليط؛ كما سبق ونبّه على ذلك حضرة الاب لامنس، حجة التاريخ الشرقي، في مقالته «الانتقاد والدروس التاريخية»[١]

بناء مسجد المدينة

اقدم من ذكره من الاخباريين البلاذري في فتوح البلدان . قال بعد ان حكى امر الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة بهدم المسجد وبنائه: «وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط».[٢] دون ان يضبط مقدار المال ولا احمال الفسيفساء . ولكن معاصره

المهملة، وهو تصحيف.

١) المشرق (٢٠ [١٩٢٢] ص ٦٦٤-٦٧٣)

٢) طبعة مصر سنة ١٩٠١، ص ١٢

اليعقوبي[١]، ومن بعده الطبري[٢]، وابن الاثير[٣]، ومن نقل عنهم جعلوا المال مائة الف مثقال ذهباً، والصناع مائتين، واحمال الفسيفساء اربعين. وزعموا ان الوليد استعان بملك الروم لاستحضار كل ذلك من القسطنطينية، مما ليس هنا محل نقده. وكأن «الاربعون حملاً» لم تكن تكفي مثل مسجد المدينة فزاد عليها الطبري احمالاً اخرى مما امر الوليد بجمعه من الابنية القديمة. واضاف ابن الاثير الى فعلة الشام صناع الروم البيزنطيين. ورأى ابن خلدون ان مائتي صانع من الروم لا يفون بقدر المسجد فنبّه على ان الوليد «استكثر معهم من فعلة الشام»[٤] وخالفهم ياقوت الحموي في احصاء المال فحطّ منه ستين الفاً وجعله اربعين الف دينار فقط[٥]. وجاء صاحب «العيون والحدائق» فرد المائة الف دينار الى نصابها، وقرن معها حبّاً بالتسوية وتعظيم شأن المسجد «مائة الف صانع» قال بعث بهم ملك الروم[٦]. فاصبح الثمانون صانعاً من رواية البلاذري مائة الف بفضل المخيّلة الشرقية.

بناء مسجد دمشق

لا نعلم احداً روى حضور صنّاع الفسيفساء من القسطنطينية لدمشق قبل الحافظ ابن عساكر، وهو من اهل القرن السادس للهجرة. وعنه نقل العمري والمقريزي والكتبي وسائر المؤرخين. وفي زعمه ان الوليد بعث ايضاً الى ملك الروم، كما فعل من اجل مسجد المدينة. ولكنه هذه المرة ابرق في خطابه وارعد، وتوعّد وتهدّد بتخريب الكنائس وتعفية آثار الروم ان لم يرسل الملك الرخام والفسيفساء ومائتي صانع. قال ابن جبير «فامتثل الملك امره مذعناً.» ولكن ابن جبير لما زار دمشق استكثر هذا العدد من الصناع بالنسبة الى

١) تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ٢: ٣٤٠

٢) تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) ٢: ١١٩٤

٣) الكامل (طبعة مصر) ٤: ٢٠٢

٤) العبر ٣: ٦٠

٥) معجم البلدان (طبعة ليبسك) ٤: ٤٦٦

٦) طبعة ليدن، ٣: ٥

اعجوبتها الكبرى فرفعـه دفعة واحدة الى « اثني عشر الفاً . »[1] وتابعه ابن بطوطة[2] . واقبل محمد بن ابي بكر السمرقندي فصحح هـذا العدد ايضاً في كتابه «تاريخ البلدان» وجعله « اربعين الفاً »[3] . . . لا غير . وهو في الحقيقة قليل في جنب مائة الف مسجد المدنية .

قتلى اهل معرة النعمان في حصار الصليبيين سنة ٤٩١ للهجرة

حكى « صاحب النجوم الزاهرة » ان في هذه السنة « وردت الاخبار الى بغـداد ان الفرنج ملكوا انطاكية وساروا الى معرّة النعمان في الف الف انسان »[4] . . . (اي مليون) واورد قبلًا عن ابي المظفر سبط ابن الجوزي انهم « نزلوا اليها فقتلوا من اهلها مائة الف انسان وسبوا مثلها . »[5] فتكون من ثم جملة القتلى والسبي مائتي الف من بلدة نظير المعرة . وليتنـا نعلم كم كان ابو المظفر يقدّر سكانها . وذهب ابن الاثير الى انهم « قتلوا مـا يزيد على مائة الف »[6] . واختارت « مجلة المجمع العلمي » بدمشق هذا الاحصاء على ما فيه من الغلو والشطط[7] . واصرّت عليه حتى بعد ان نبهتها مجلة « المشرق » الى ما فيه من الخطإ والمجازفة[8] . ولما ظهرت « خطط الشام » ورد فيها هـذا التقدير على علّاته بحجة انه وارد في اكثر الروايات (ج ١ : ص٢٨١) ولم تؤيـد زعمها باقلّ اسناد او مراجعة للمصادر التي اعتدّت بتسميتها في مفتتح الكتاب . وكان بين هذه المخطوطات التي زعمت انها صدرت عنها كتاب « زبدة الحلب في تاريخ حلب » للصاحب كمال الـدين ابن العديم رقم ١٦٦٦ من خزانة باريس . وهو

---

١) رحلة ابن جبير ، ص ٢٦١
٢) رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس) ١ : ١٩٨
٣) وقفنا على هذا المخطوط في خزانة الاستاذ عيسى افندي المعلوف
٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة اميركة) ٢ : ٢١٨
٥) الكتاب نفسه ، ص٢٠٢–٢٠٣
٦) الكامل (طبعة مصر) ١٠ : ١٢٢
٧) السنة الثامنة (١٩٢٢) ص ٢٧٦–٢٧٧
٨) المشرق (٢٠ [١٩٢٢] ٩٧٢) و(٢٣ [١٩٢٥] ٥٦١)

اجدر ما كان يجب ان يُراجع في تحقيق قتلى المعرة. لان مؤلفه كان اعلم اهل زمانه بالتاريخ وايام الناس، وادراهم بما حدث في جوار بلده من الحروب والوقائع، لاطلاعه على ما في خزائن حلب واخبار مملكتها ايام وزارته. وكان متقرباً الى ملوكها، توسّل عنهم مراراً كثيرة الى الخليفة في بغداد. وقد اثنى عليه ابن شاكر الكتبي ثناء جمّاً، ووصفه بما كان منطوياً عليه «من الديانة الوافرة والتحري في اقواله وافعاله.»[1] ومن طالع كتابه المذكور يعجب من قلة اللغو فيه وكثرة فوائده، وتعويله في سياقة بعض اخباره والتوثق منها على شهادة بعض الآثار والنقود مما لم يتقدم لاحد قبله ألفة به. ولذلك حرص احد علماء المشرقيات المسيو بلوشه على نقله الى الفرنسية والتعليق عليه. وهذا نص ما كتبه في كلامه على الصليبيين وحصارهم المعرة قال:

«وصلوا الى معرة النعمان لليلتين بقيتا من ذي الحجة في مائة الف وحصروا معرّة النعمان في سنة اثنتين وتسعين. ودخلوا البلد بعد المغرب ليلة الاحد الرابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين واربعمائة... ومالوا على النـاس وقتلوا منهم خلقاً وسبوا النساء. والصبيان. وقُتل فيهـا اكثر من عشرين الف رجل وامرأة وصبي.» (ص ١٢٤)

وشتان بين هذه العشرين الفاً وبين مائة الف سبط ابن الجوزي الذي نقل عنه ابن الاثير. وكان مثل الصاحب كمال الدين ابن العديم احق بالاخذ عنـه والاستناد اليه من سبط ابن الجوزي الذي نبّه الامام الذهبي على مجازفته في ما انتقده عليه من رواياته، ومن سائر نظرائه في التهوّر وقلة التحقيق كأحمد بن علي الحريري في كتابه «الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين» (رقم ٢٢٣٤ من خزانة باريس ص ١١٨)

قتلى بغداد في حصار هولاكو سنة ٦٥٦ للهجرة

لم يبقَ احد من الاخباريين لم يكتب شيئاً عن هذه النكبة العظمى التي كانت ايضاً نكبة العلم. وقد تبارت الاقلام والخواطر في تقدير القتلى فيها.

١) الشرون من عيون التواريخ، من الخزانة التيمورية، ص ٢٢١

واقل احصاء وقفنا عليه للامام كمال الدين ابن الفوطي، وهو من اهل بغداد وبالتالي ادرى بما كان في بيته. وهذا نص كلامه قال:

«قيل ان عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمان مائة الف نفس عدا من ألقي من الاطفال في الوحول. ومن هلك في القني والآبار وسراديب الموتى جوعاً وخوفاً»[1]

ومعلوم ان مثل هذه التقديرات لا تكون الا على سبيل الحدس والتخمين، فلا تخلو قط من المبالغة والمجازفة. وقد تتابع المؤرخون على اثر الفوطي في الاحصاء، والقى كل منهم دلوه في الدلاء، وجاؤا بكل غريبة وعجيبة. وقد نقل ابن شاكر الكتبي عبارة الفوطي بالحرف الواحد في جزء بخط يده من كتابه «عيون التواريخ» اطلعنا عليه في الخزانة التيمورية. ويظهر انه بعد ان انتهى من هذا النقل وقع له تصنيف آخر فيه تقدير ابلغ، فعلّق على هامش نسخته بعد قول الفوطي «زادت على ثمانمائة الف»، بين كلمتي «على» و«ثمانمائة»، عددي «الف الف» بقلمه، بحيث صار مجموع القتلى «الف الف وثمانمائة الف» اي بزيادة مليون جملة واحدة. ثم وجد بعضهم ان هذا القدر لا يكفي لبيان ما حل ببغداد بهذه النازلة الكبرى من الوبل والبلاء. فاضاف نصف مليون آخر واصبحت الجملة ٢,٣٠٠,٠٠٠ قتيل.

واتسع المجال بعد ذلك لسباق الاقلام بين زيادة ونقصان حتى ضاع على السامع الحساب، وأوصد في وجه التحقيق كل باب. وهذا المثل من ادل الامثال على ما في كتب التاريخ والاخبار عندنا من الفوضى والتخليط. فلا بأس ان نورد هنا بعض هذه الاحصاءات الطائشة مع ما بينها من الاختلاف الفاحش والبون الشاسع:

تاريخ ابن كثير رواية الطبراني: وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين. فقيل ثمان ومائة الف. وقيل الف الف وثمانمائة الف. وقيل الفي الف نفس.

(خزانة باريس رقم ١٥١٦، ص ٧٥)

(1) تاريخ بغداد المعروف باسم «الحوادث الجامعة» من الخزانة التيمورية، رقم ١٣٨٣، ص ٢١٨

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي : قال الشيخ شمس الدين الذهبي ... راح تحت السيف أمم لا يحصيهم الا الله تعالى فيقال انهم اكثر من الف الف .

(ترجمة المستعصم ١ : ٣٠٤)

العبر لابن خلدون : يقال ان الذي أحصي فيهـا من القتلى الف الف وثلثمائة الف .

(٥ : ٥٤٢)

غربال الزمان مختصر من تاريخ عبدالله بن اسعد اليافعي : بلغ عدد القتلى الف الف وثمانمائة الف وكسرا

(خزانة باريس رقم ٢٧٢٧ ، ص١٥٥)

السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي : وامر هولاكو بعـدّ القتلى فبلغت نحو الالفي الف قتيل .

(خزانة باريس رقم ١٧٢٦ ، ص١٢٧)

تاريخ حوادث الزمان وابنائه للجزري : كان عدد القتلى في هذه الواقعة من الفريقين ما يزيد على الفين الف وثلاثمائة الف انسان ما بين ذلك من نساء ورجال وصغار .

(خزانة باريس رقم ١٦١٦ ، ص ١٣٩)

الجوهر الثمين لابن دقماق : قيل ان عدة من قتل ما يزيد على الفي الف وثلثمائة الف وثلثون انساناً .[١]

(الخزانة التيمورية رقم ١٤٩٣ ، ص ٦٤)

تاريخ الخلفاء والملوك لابن الفرات : قيل ان عدة من قتل ببغـداد ما ينيف على الفي الف وثلثمائة الف وثلاثين الف نفس .

(خزانة الفاتيكان رقم ٧٢٦ ، ص ٢٠)

وهلمّ جرّاً من نظائر هذا الخبط والخلط التي لا يكاد يتبرّأ منها كتاب في الاخبار والتاريخ .

١) اعجبْ بهذه الـ « ثلاثون انساناً » تأتي في سياق الملايين ومئات الالوف . فلله درّ المؤرخ ما اشدّ تدقيقه ! [المشرق]

من تاريخ الرهبانية اللبنانية

النسك والنسّاك في لبنان

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

١

سلسلة شهادات

ثابت حياة النسك في جبل لبنان من عهد قديم اي بين القرن الرابع والخامس[١]، ولا تزال اطلال بعض مناسكه قائمة الى الآن كاصدق دليل على ذلك، كان يقطنها الرهبان والمتوحدون عاكفين على اعمال الزهادة والعبادة.

قال العلّامة الاب هنري لامنس اليسوعي:

«من المنازل التي احتلّها في العهد القديم نسّاك لبنان وادي قزحيا والقاديشا . وبقايا العيشة الرهبانية ظاهرة فيها حتى الآن صبرت على الايام وتقلّبات الدهر ... وكان بعض الرهبان يفضّلون العزلة التامة فيعيشون منفردين في مغاور متفرّقة في جانبي الوادي منحوتة في صخوره تجري منها ينابيع صافية ويحدق بها النبات وكلّها غاية ما يُرام لعيشة العبّاد»[٢]

وهذا دير قنّوبين كان حافلًا بالرهبان والحبساء. الى ان أقام فيه البطريرك يوحنا الجاجي، هرب اليه من دير سيدة ايليج (ميفوق) سنة ١٤٤٠ بسبب الاضطهاد الذي ضايقهُ فاخلى لهُ الرهبان دير قنّوبين وانتقلوا الى دير قزحيا[٣].

وقد كثر عدد المناسك والنسّاك في لبنان من القرن الرابع عشر وصاعدًا، وتمّ عرفُ فضلهم في أرجائه حتى استأهل بعضهم ان يُرقوا الى درجة الاسقفيّة، فالبطريركيّة، ولبثوا محافظين على نظام حياتهم النسكيّة الاولى على ما روى العلّامتان الدويهي وغودار.

١) الاب لامنس في كتابه تسريح الابصار، كما سيأتي.
٢) الكتاب المذكور : ص١١١
٣) الاب يوسف غودار اليسوعي في كتابه الفرنسي «مريم في لبنان»

وكانت محابس هؤلاء الحبساء غالباً إمّا في بطون الاودية او محفورة في قلب الصخور العالية ، وهي أشبه باوكار النسور ، يتعذّر على المرء الصعود اليها بسهولة . وكأنّ مناظر أودية لبنان ووهاده وقمم جباله المرتفعة كانت من أقوى البواعث على اعتناق الحالة النسكية .

« فان وعورة ضفاف نهر قاديشا المنبجس في سفح جبل الارز استمالت قلوب النسّاك الى الزهد والوحدة ، فعاش أكثرهم في كهوفٍ محفورة في قلب الصخر يُرى بعضها حتى اليوم مستوياً استواءً عمودياً فوق وهادٍ مرعبة يعزّ الوصول اليها »(١

ومما يدلّك على ضيق حياة النسّاك في وادي قاديشا ما قاله الاب پتيكوه (Petitqueux) اليسوعي :

« في تلك الصخور مغاور وكهوف كانت قديماً صوامع متوحّدين عديدين اختاروا عيشة الانفراد وتحمّلوا شظف العيش ومارسوا التوبة المتواصلة الشاقة . انّ دموع هؤلاء النسّاك كانت السبب لتسمية نهر قاديشا المنبجس من جبال لبنان بالنهر المقدّس . وانّ منظر كهوفٍ ونهرٍ في قفر مخيف لمثيرٌ في القلب عوامل الانسحاق والتوبة والشفقة على نفوسٍ شهوانيّةٍ عالميّةٍ تُفضّلُ لذة ايامٍ وفرحها على ابديّةٍ سعيدة . »(٢

وقال العلّامة السيد ميسلن في سياحته الى لبنان :

« لا شيء يوازي المظاهر الدينية السائدة في وادي قاديشا : تنغم مدائح الله في اسفل الارز ، حراثة تلك الجبال التي نشبت فيها حروبٌ عديدة للمحاماة عن الايمان ، التجوال على شاطئ نهر قاديشا الضاحكة شاهده حيناً والعابسة حيناً آخر ، في المغاور العميقة ملجأ طغمة من الشهداء ، دروس تاريخ جدودهم وثباتهم في تلك المعالم الخربة وفي تلك العظام المتكسّرة هي شُغل المتوحّدين القاطنين الى الآن في ذلك الوادي . تلك سعادةٌ احسدهم عليها . فيا سعد من يخوّله الله هذه الدعوة ! فانهم كموسى يصلّون على الجبل ، بينما الاخرون يحاربون في السهل . »

ولله درّ فرحات حيث قال :

لهفي على زمنٍ مضى   مع إخوةٍ في الباديهْ !
في ذلك الوادي الذي   الأفراحُ فيه وانيه !
فكأنهُ لي جنّةٌ ،   وبه قطوفي دانيه ،
فيه النفوسُ امينةٌ ،   وبه الملائكُ واقيه .

---

١) ريستلهوبر : « تقاليد فرنسة في لبنان » ، الترجمة العربية للاب عبّود ، ص١٣

٢) مجموعة الوثائق للارساليات اليسوعية في الشرق : (*Nouveaux mémoires des Missions de la Compagnie de Jésus dans le Levant*, IX 1724)

تهتزُّ لي أغصانهُ فكأنها بي هـازبه ،
والريحُ تنقـلُ بيننا أخبارهُ كالواشيـه .
فيه السـواقي جاريه ، ليس الجواري ساقيه .
ورياضه كزهوره غضبى، وأخرى راضيه .
يا ايها الوادي الذي فيه الفضائل راقيـه ،
قد ضمَّ من رهبانهِ من كلّ نفس غاليه ،
يُشجيك بالاسحار صو تُ زبورهم بالقافيه ،
يغنيـك لحنُ صلاتهم من حُسن صوت الغانيه(١

وقد ابدع بشعره بوصف الوادي المقدَّس اذ قال ايضاً :

أحنُّ الى الوادي المقدَّس رغبةً اليـهِ فمرآهُ لعينيَّ يُبهجُ ،
يمرُّ بـه ذاك النسيمُ معطَّرًا بازهاره ، وضيـاؤهُ متبلجُ
تردّى بثوبٍ من زهورٍ بديعةٍ يـهمهُ منها طرازٌ مُدبجُ ،
به الوردُ محمرٌّ ، وآخر أبيضٌ ، وأخضرهُ يزرقُّ منهُ البنفسجُ ؛
تراهُ كطاووسٍ تجلّى ، ورأسهُ بألوان باريهِ العزيز متوَّجُ .
ترى لخرير المـاء في أرجائـه كأرغن شادٍ صوتهُ يتلجلجُ ،
يجول على بسطٍ من الروض سُندُسٍ ، وحصباؤهُ كالدرّ تزهو وترهجُ .
حمت فيه أفنان الاراكةِ طائرًا يُغرّد في أغصانها ويُهرّجُ ،
وردّت أكفُّ الدَّوح عنهُ بظلها أشعّة شمسٍ عن حماهُ تعرّجُ .(٢

قد اشرنا في مقالٍ مضى(٣ الى انَّ كلَّ ديرٍ من اديار هؤلاء الرهبان والحبساء كان منفردًا مستقلًّا عن غيره ولا علاقة لهُ بالآخر . وللاسقف المكاني سلطان على تلك الديورة في ولايته(٤ بحيث كان يُلبس طالب الترهُّب الثوب الرهباني ويبقيه في محله بعد قضائه مدَّة الامتحان الاولى . ولم يكن لهم قانون خـاص يتقيدون باحكامه ولا ينذرون نذرًا صريحًا علنيًا ، بل يجرون على تعاليم كتاب يوحنا السلّمي وبستان الرهبان والقديس انطونيوس الكبير(٥ ، وغلب على تسميتهم باسم الرهبان العبّاد . وظلَّت شائعة هذه الطريقـة الى حين تأسيس رهبانيتنـا

١) الديوان : ص٤٦٩ وما يليها .
٢) الديوان : ص١٢١–١٢٢
٣) المشرق (٣٠ [١٩٣٢] : ٨٠٤)
٤) المجمع اللبناني : ب٢ ، عد ٢ ، ص ٤٦١
٥) مذكرات الاب قراعلي ، ج ١ ، من تاريخ الرهبانية .

اللبنانية . ولمّا نبتت قدمها وانتظم حالها رغب بعض ابنائها في حياة العزلة التامة ليتسنى لهم الالتصاق بيسوع المسيح على نوع اكمل . واليك ما كتبه بهذا الصدد الاب قرا علي في مذكراته الثمينة :

« في سنة ١٧١٦ تحرّك قلبُ بعض الرهبان الكهنة لطلب السكوت والانفراد . وهذه كانت شهوة المرحوم القس يوسف البتن فطاوعتهم على ذلك وافردهم الى مكان في وادي قزحيا يُعرف بنيتا . وكان عددهم اثنين واسمهما الواحد انطونيوس ، وهو شيخ ويعرف بابن مبارك ، والاخر شابّ ويُعرف بابن شوشان ، وضيّقتُ عليهما القانون أكثر ممّا في الدير ، وسلّمتُهما الكرم الذي هو أمام محابسهما ليملا ويقاتلا الضجر ، وميّزنا لهما قلّاية جملاهما كنيسةً على اسم مار بولا اول المنفردين ... »

وروى الاب توما البوديّ عن الاب انطونيوس الدلبتاري هذا الحبيس :

« انه جاهد في هذه المحبسة جهادًا هذا مقدارهُ حتى من سيرته تيقّنت الرهبان عن جهاد الاباء الاقدمين وعن الجبساء الاولين وجهاداتهم » (١

على اننا لم نجد في روزنامة دير قزحيا اسماً لهذا الحبيس الذي ذكره قرا علي والبودي واول حبيس ذكر فيها هو الاب انطونيوس الباني.

وكتب الاب جبرائيل فرحات عن وفاته ما نصّهُ :

« انهُ في سنة ١٧٢٥ انتقل الى رحمة الله . وقد كان حبيساً في وادي قزحيا وهو اول حبيس توفي من هذه الرهبانية بعد ان أقام في المحبسة عشر سنين قضى منها ستّاً يلازم عمل اليد خارج القلاية في الاوقات المعيّنة في القانون الذي رتّبه المطران عبدالله منشئ هذه الرهبانية . واربعاً أقام حابساً نفسهُ حبساً تاماً لا يخرج من غرفته الا لتقدمة الاسرار الالهية »(٢

وزادت رزنامة دير قزحيا : انهُ عرف ساعة موته قبل يومين . ومات ولهُ من العمر نحو٤٠ سنة في ٤ كانون الاول برئاسة الاب جرجس القشّوع على الدير .

...

ولم تكن حياة النسك في الاديار باقلّ ازدهارًا مما هي في المحابس . فمن طيّات ثياب الرهبان الخشنة كانت تنتشر روائح الترهّد والتقشّف ، وتسري الى الآذان اخبار صلاتهم وصيامهم وزهدهم . وكلما ازداد عددهم ازدادوا عكوفاً على ضروب العبادة واعمال الزهادة ، وهم متحصّنون في حصون اديارهم

١) ترجمة قراعلي للاب البودي (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٢٣٦)
٢) تاريخ الرهبانية لفرحات .

يحيون في انفرادهم حياةً هادئة مطمئنة لا أنيس لهم ولا جليس سوى القربان الاقدس المحتجب فيه يسوع المسيح ، فيطرحون على أقدامه همومهم واتعابهم فينفّس كربهم ويبدّد حزنهم ويُدخل الى نفوسهم التعزية والسلوى ، فيستعيد عزمهم القوّة والنشاط لمتابعة الكفاح والجهاد .

واليك بعض ما كتبهُ عنهم الاب يتيكوه المرسل اليسوعي حين زارهم في دير القديس اليشع في سفح الوادي المقدّس سنة ١٧٢١ :

« يقضي هؤلاء الرهبان سنتين في التجربة ، لا يأكلون اللحم ابدًا ، والفقر لامعٌ في ملابسهم ، ينشّمون الصلاة نصف الليل وقد حضرناها عندهم ثلاث مرّات . وكانت لنا خير قدوة حشمتهم في الكنيسة وحرارتهم في الصلاة . يصرفون قسمًا من نهارهم في حراثة الارض وفي الاعمال اليدويّة ... ويبذلون في حفظ فرائضهم ، ولاسيّما فريضتي الصمت والصوم الشاق ، منتهى الدقّة ، ويندر ان يروا الناس . . . وهم وحدهم يستحقّون اسم الرهبان .»(١)

وبالرغم من حياتهم الضيّقة ازدحم طلاب الترهّب على ابوابهم من لبنان وحلب والشام وسائر الانحاء ، ومن غير ابناء الطائفة ، كالروم والارمن والسريان والملكيين واللاتين ، منضمّين تحت تدبير قانونهم وأُسندت اليهم رئاسة الديورة ووظيفة المدبّريّة والنيابة والرئاسة العامّة ، ورقّي بعضهم الى درجة الاسقفية كالمطران ارسانيوس عبد الاحد السرياني الاصل .

وكيف يتسرّب الفشل الى صفوفهم وتخمد نار همّتهم وآباؤهم المؤسّسون قراعلي والبتن وفرحات ينفخون في ضرامها ويواصلون الاهابة بهم للتقدّم الى الامام في الجهاد النسكي ، رافعين امامهم رايتهُ في معارك الحياة ، متنافسين جميعًا في قهر أميال النفس بأقصى درجات التقشّف ، ومزاولين عمل اليد زجرًا لشيطان الضجر ، قانعين ببساطة عيشتهم في هذا الجبل المقدّس . ويعود الفضل كلّهُ باحياء الحياة النسكيّة في ربوعنا الشرقية على طريقة منظّمة الى هؤلاء الآباء ، وبالاخص الى مقدامهم الحبر القديس المطران عبدالله قراعلي الذي نمت في تربتها هذه الرهبانية غرسة يده وانبثقت فروعها مثقّلة بثمار البرّ والتقوى اللذيذة . وقد أصاب العلّامة المرحوم الخوري يوسف مارون الطرابلسي بما قالهُ

١) مجموعة الوثائق المذكورة .

عنهم. وعن ماثثهم السيد عبد الله في مخطوطته[1] وهو :

لله درُّ فروعِ جودٍ أُفرعت من ذلك الاصل الكريمِ الجيّدِ ،
طابت روائح نسكهم فكأنهم مسكٌ يفوحُ بصدر هذا السيّدِ .

بعض النساك من الرهبانية اللبنانية

لا يزال الى اليوم ، بعد قسمة الرهبانية ، روح النسك متجدّدًا في رهبانيّتنا البلدية اللبنانية ، كما تشهد بذلك حياة من تفرّدوا بــه الى أبلغ حدّ في ضيق العيش وشظفه ، مقتفين آثار سلفائهم من الآباء والجـدود ، سواء أسكنوا في الديورة ام في المحابس . ويضيق بنا المقام ان جئنا نعـدّدهم جميعاً ولكن لا نرى بدًّا من ذكر بعضهم .

كتب الشاب الاديب الفاضل يوسف ابي كرم في مقدّمته على حياة الابوين الحرديني وشربل التي نقلها الى الفرنسية ما ترجمته :

« من جال اليوم في لبنان ونظر الى الاديار العديدة المكلّلة هام تلالــه العالية المرتفعة كالمنائر تنير عقول المؤمنين نشأت فيه عواطف التقوى والفضيلة وتحقّق ان الحياة الرهبانية لم ينقصها شيء من اهميتها الاولى ورونقها القديم . فكثيرٌ من الحبساء والنسّاك اشتهروا في هــذه الرهبانية اللبنانية المارونية وجعلوا لهم صيتًا بعيدًا بقداسة حياتهم »[2] .

ذكرنا انَّ اول محبسة تشيَّدت في بدء تأسيس الرهبانيــة هي محبسة ديرنا تزحيا . ثمَّ انشأت فيما بعد رهبانيّتنا المحابس في جانب بعض اديارها كمشموشة ، وميفوق ، وحوب ، والقطّاره ، وعنّايا ، وطاميش ، وكفيفان ، واهلت ولا يزال اكثرها آهلًا بالحبساء الافاضل المجاهدين فيها جهاد ابطال القــديسين بالاكباب على الصيام والصلاة واذلال الجسد بالاماتات المتنوّعة ، والاقتصار على تناول بعض الحبوب والثمار والبقول المسلوقة المتبّلة بالزيت ، لا يذوقون اللحم البتة ولا ما يتنعّم به أولي السعة والرخاء من المآكل والفواكه الطيّبــة . فاكسبتهم هذه العيشة القشفة صحة وسلامة لابدانهم وصفاء ونورًا لاذهانهم فعمّروا طويلًا وندر من لم يبلغ منهم في سنه الثمانين والتسعين او نيف .

---

١) الرسالة السنيّة في الرهبانية اللبنانية ، ردّ عز الشماس عبدالله زاخر الحلبي الشهير .

٢) *Deux Religieux Maronites*, Paris, 1923

ويروقنا ان نشير هنا الى ان السيد بوصويت الخطيب الشهير نسب انحطاط الناس الطبيعي والادبي الى ما يأكلونهُ من الاطعمة الدموية فقال : « ان الغذاء الذي كان للناس قبل الطوفان يتناولونه بلا عناء من ثمار الاشجار المتناثرة على الارض لهو ولا ريب بقيّةٌ من البرارة الاولى . امّا اليوم فاننا نطلب الغذاء بإراقة الدم رغم ما ينشئ ذلك في نفوسنا من الهول الطبيعي . امّا ما نبذلُ من الجهد في تجويد الطعام وتكثير ألوانه والتأنق فيه فسبيلهُ لا يخفى علينا تماماً عندما نملأ به البطون من الجيف »

وتعطّرت ارجاء لبنان بأريج قداسة هؤلاء الرهبان والحبساء في اديارنا ومحابسنا المذكورة فعاشوا عيش الصدّيقين وماتوا ميتتهم .

امّا الذين قضوا الحياة في الاديار فالآباء : عمانوئيل الجميّل ، الرئيس العام . توفي بدير الكحلونيّة في ٣٠ ت١ ١٨١٠ . وكشف قبرهُ في ٢٧ ايلول ١٨١٣ ، فوُجِد جسده سليماً من البلى والفساد . وقد نُقِل الى دير سيدة طاميش [١] . والاب سرابيون الدليبه (بلاد المتن) عاش حافظاً رسوم القانون داخل الاديار ثلاثاً وستين سنة وانصرف الى جوار ربه في ١٤ آب ١٨٥٣ . وحنانيا التنّوري ، ويوسف البكاسيني ، وانطونيوس الزوقي ، وجبرائيل البزعوني الذي اشتهر بعبادته لمريم العذراء ، وجبرائيل الديراني ، واكليمنضوس التنّوري ، وسبيريدون صفير الريفوني المتوفّى في دير مار روكس عجلتون في ٢ شباط ١٨٦١ ، ولا يزال الى الآن قبرهُ هناك مقصداً للزائرين وأجرى الله على يده بعض الكرامات . والاب مبارك حليحل ، الرئيس العام ، الذي توفاه الله اليه في دير مار ساسين بسكنتا في ١٦ آب ١٨٦٤ . وبولس رادي جزّين ، وعبد الاحد قيتوله ، واغناطيوس البيروتي المتوفّى في كانون الاول ١٨٧١ ، قال عنهُ الاب نعمة الله الكفري : « انهُ سار سيرة الاختلاء والورع والزهد في سنيه العشر الاخيرة . » ويوحنا الشرتوني الذي احتمل داء الجذام بصبرٍ عجيب . واغوسطين الديراني ، وليباوس ابي سليمان المتيني ، وكاروبيم البكاسيني ، وحنانيا القبرسي ، ويوسف

١) راجع ما كتبناه عنه (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] : ٥٠٧ وما يليها)

الفسطاوي، وعمانوئيل الصغبيني الذي لاقى ربّه في مدرستنا بصغبين في ٢٢ ايلول ١٨٨٢، وذكر الاب الكفري: «انهُ مات ميتة مقدسة كسيرته المقدسة الطاهرة المشهورة ولذلك أخذت الناس ثيابه بركة.» وارسانيوس البكاسيني توفي في ٥ ك ١ ١٨٨٣ في دير برسنين بعمر نحو ٧٠ سنة. كتب عنه الاب الكفري: «انه كان تقيًا فاضلًا صام ٣٥ سنة يوم السبت على الخبز والماء للتاسعة اكرامًا للسيدة العذراء. وكان موته بداء الاستسقاء، وعرف يومه الاربعاء او السبت. فمات يوم الاربعاء الخاص بمريم عند الشرقيين، وأُخذت ثيابه بركة.» وبولس كفرحتنا رقد بالرب في دير كفيفان في ك٢ ١٨٨٦، وكان يرافق الاب الحرديني في بعض أسفاره ويعاونه في تجليد الكتب. قال فيه الاب الكفري: «انه تقي عابد بارّ في كل حياته.» ومبارك الرشاوي، وكاروبيم البحرصافي. توفي في ٤ آذار ١٨٨٧ بسنّ مئة وسنتين، وهو كاهن فاضل عابد. وروفائيل الحصروني، ومبارك اده، وبطرس البكاسيني المدبر المتواضع الطاهر الذليل، وحنانيًا الحصروني، وليباوس القليعاتي، ويوسف خرائب صبّاح، ومخايل ابي سليمان المتيني، ونعمة الله البلّاني، وقدس الاب لورنسيوس الشبابي الشهير بالتقى، وبرزدوس التنوري، واغناطيوس الفريديسي، وابراهيم الخوري حاقل مات بداء الجدري في دير سيدة بصرما وقبرهُ هناك مزار، وقد كرّمه الله بكرامات صنعها عن يده، وقدس الاب نعمة الله الكفري المعروف بالعلم والفضل[1]، واسطفان الكفيفاني.

ومن الرهبان الاخوة: نوهرا المتيني توفي ١٨١٧ بدير قزحيًا، اخبر عنه الاب الكفري: «انه حفظ نذوره بالتدقيق ولم يرقد الّا على قطعة من بساط شعر.» ولورنسيوس سقي لحفد، ومخايل الطرابلسي، ومرتينوس الغزيري، وجراسيوس لحفد، ومبارك الموصلي، وباخس البانين المتوفى ١٨٧١. وقد شوهد وقت نزاعه حمامة بيضاء ترفُّ فوقه، ويقول الاب الكفري ان بعض الشهود على ذلك احياء. ومبارك الدينّة، وارميا العكاري، وتوما اده، وروفائيل

١) سنضع نبذة في ترجمة كل من الاباء لورنسيوس الشبابي، والكفري، وابراهيم حاقل.

بقاعكفره ، مات مسنًا في دير قزحيا في غرّة ك ١ ١٨٦٤ ، وعُرف بالصلاح والصبر على الاوجاع والبلايا . ونعمة الله كور ، وسمعان العكاري ، وجراسيموس شموتي ، وانطون الدبيّة ، وماتيّا بشرّي ، ويوسف بقعتوته ، ويوسف عبدلّي ، وعبد الله نون المشمشاني ، وعبد الله كساب القليماتي ، لاقى ربّه بدير سيدة نسبيه غوسطا في ٤ ايار ١٩٠٠ ، وله من العمر نحو ٨٠ سنة . وهو من الاخوة اللامعين بالتقوى في رهبانيتنا ، وقد بلاه الله بالكسح سنين طويلة ، فصبر على هذه البليّة صبر القديسين لا يشكو ولا يتمرمر ولا تفارق الابتسامة شفتيه . وكان سميره في حالته هذه الكتاب المقدّس يطالع فيه ليلًا ونهارًا شاكرًا الله في كل حينٍ وحال .

وعندما يوشر عمار دير بكركي ، اقام المثلَّث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج في ديرنا نسبيه مدَّة خمس سنوات ، فكان غبطته والسادة الاحبار يتردّدون كثيرًا على هذا الاخ الكسيح مستطيبين حديثه الروحي آنسين بجنّة روحه . وذكرًا لفضله وصبره امر البطريرك يوحنا ان يؤخذ رسمه فرسمه باليد الاستاذ المصوّر الشهير حبيب سرور ورسمه محفوظ في دير نسبيه . وقد قضى في دير قنوبين نحو ٤٠ سنة يخدم هذا الكرسي البطريركي .

وفي سجلّات اديارنا اسماء كثيرين من الرهبان ذوي الفضل والتقى اضربنا عن ذكرهم اختصارًا ، وفاتنا كثير من امثالهم مكتفين بمن ذكرناهم وقد افادنا عنهم الاب المؤرخ الصادق الحميد العين والاثر نعمة الله الكفري في دفتر قداديسه الخطي ، وفي نبذته التاريخية بدير قزحيا التي نشرها في مجلة المشرق سنة ١٩٠١ صفحة ٨٧٧

وسنذكر ، في ما يلي ، شيئًا عن اشهر المحابس في رهبانيتنا .

ابن عبد ربه و «عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٦

قيمة العقد التاريخية (تابع)

تشيعه

وظاهرة أخرى نراها في العقد هي تشيّع صاحبه . ومن الخير ان نقيّد هذا التشيّع بنعتٍ فنقول : تشيّعه المعتدل . وغريبٌ ظهور مثل هذه النزعة في رجل من موالي بني امية الذين كانوا اكثر الناس بغضاً وكيداً لآل علي . وربما تزول دهشة الاستغراب من نفوسنا ، او يقلّ اثرها ، اذا عرفنا ان ابا الفرج الاصفهاني كان يتصل بنسبه الى بني امية ، الى مر ان الأخير ، ومع ذاك كان اكثر تشيّعاً لآل علي من ابن عبد ربه.

ولم تكن هذه النزعة عند ابن عبد ربّه من القوة او الشدة بحيث تظهر لاول وهلة في عقده . اذ قد تقرأ الفصول الطوال من العقد دون ان تشعر بها . ولعلّ غموضها هذا يفسر سكوت اكثر الذين ترجموا حياته عن ذكرها ، ويظهر ان هؤلاء لم يلاحظوها . غير اننا اذا قرأنا العقد وانعمنا النظر في هذه المواقف التي يذكر فيها علياً واولاده وآله نرى اثر هذه النزعة عنده ، وندر ان يذكر علياً دون ان يلحق الاسم « برضي الله عنه » . ويذكر خبر النزاع بين عليّ ومعاوية فيورد قصصاً واقوالاً كثيرة احتجّ بها علي واهله على انهم اصحاب الحق ولا يذكر وجهة نظر معاوية وجماعته في امر هذا الخلاف بينهم وبين علي

وجماعته[١] . ويذكر روايات متعددة عن الحديث المنسوب الى النبيّ في ان عمّار بن ياسر تقتله الفئة الباغية — وقد كان عمّار هذا من القوّاد في جيش علي في واقعة صفين وقد قتل فيها — ويضيف الى ذلك ان معاوية لما بلغه قتل عمار والحديث النبوي « لا يقتلك اصحابي ولكن تقتلك الفئة الباغية » قال : « هم قتلوه لانهم أخرجوه . » غير ان ابن عبد ربه لا يسكت هنا بل يقول : « فلما بلغ ذلك عليًا قال : « ونحن قتلنا ايضًا حمزة لاننا اخرجناه . »[٢] ويسهب عند ذكره احتجاج علي واهل بيته في الحكمين[٣]، واحتجاج علي على اهل النهروان[٤]. كذلك يورد حديثًا نبويًا عند ذكر قتل علي ان قاتل علي من اشد الناس عذابًا يوم القيامة[٥] . ويذكر خبر الاختلاف بين علي وبين عبدالله بن العباس فيورد رواية تحمل على ابن العباس[٦]، ويذكر خبر حبّ ابي سفيان لعليّ ونشره الدعوة له[٧] . ويروي عن استاذه الخشني اخبارًا في فضل الخلفاء الأول فيخص عليًا بالقسط الاوفر[٨] . ويخصص له في موضع آخر عند ترجمة حياة الخلفاء الراشدين بابًا لذكر فضائله وذكر الاحاديث النبوية التي تستند اليها الشيعة في حقه[٩] . ويذكر ان الامام الحسن البصري كان ينكر على عليّ الحكومة ويقول لم يزل علي امير المؤمنين، صلوات الله عليه، مظفرًا مؤيدًا بالنعم حتى حكم. ثم يقول: «ولم تحكم والحق معك الا تمضي قدمًا لا ابالك.» ويعلق ابن عبد ربه على هذا الخبر بقوله وهذه الكلمة (اي لا ابا لك) وان كان فيها جفاء فان بعض العرب يأتي بها على طبق المدح، ويورد امثلة على هذا[١٠] . ثم يذكر مدح الامام هذا لعلي عندما اتهمه احدهم ببغضه لعليّ فيقول: « فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال للرجل : « كان ابن ابي طالب سهمًا صائبًا من مرامي الله على عدوّه ورباني هذه الامة وذا سابقتها وذا فضلها وذا قرابة قريبة من رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، لم يكن بالنَّوَمة على امر الله ولا بالملولة في حق

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٩٢ و ٢٩٣
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٨٩
٣) « « ٢ : ٢٩٣
٤) « « ٢ : ٢٩٣
٥) « « ٢ : ٢٩٨
٦) « « ٢ : ٢٩٧
٧) « « ٢ : ٢٤٩
٨) « « ١ : ٢٠٤-٢٠٥
٩) « « ٢ : ٢٧٤-٢٧٥
١٠) « « ١ : ٢٠٧

الله. ولا بالـروقة لمال الله اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة واعـلام بيّنة . ذلك علي ابن ابي طالب، يا لُكَع.»[١] وعاد فاورد القصة نفسها بموضع آخر[٢]. كذلك ترى اثر هذه النزعة عند ابن عبد ربه في ذكره رثاء عائشة لعلي ومدحها اياه[٣] على ما عرف منها لعلي يوم الجمل . وروى في عقده ان معاوية قال يوماً لجلسائه «من اكرم الناس اباً واماً وجداً وجـدةً وعماً وعمة وخالاً وخالة ؟» فقالوا : امير المؤمنين اعلم . فاخذ بيـد الحسن بن علي وقال : «هذا ابوه علي بن ابي طالب وامه فاطمة ابنة محمد وجـده رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته هالة بنت ابي طالب وخاله القاسم بن محمد وخالته زينب بنت محمد، صلى الله عليـه وسلم.»[٤] وافرد باباً خاصاً ذكر فيـه تبرؤ علي من دم عثمان[٥] . وذكر قصصاً كثـيرة في فضل فاطمة واورد احاديث منسوبـة الى النبي في هذا الموضوع[٦] . واورد روايات في مدح الحسن والحسين منها : «لما حضرت الوفـاة الحسن بن علي اوصى بان يدفن مع جدّه في ذلك الموضع. فلما اراد بنو هاشم ان يحفروا لـه منعهم مروان، وهو والي المدينة في ايام معاوية، فقال ابو هريرة: علامَ تمنعه ان يدفن مع جدّه فاشهد لقد سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة. قال له مروان: لقد ضيّع الله حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اذ لم يروه غيرك قال : انا والله لقد قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من احبّ ومن ابغض ومن نفى ومن اقرّ ومن دعا له ومن دعا عليه.»[٧]

ويذكر في كتاب النسب شيئاً تحت عنوان فضل بني هاشم وبني اميـة يقول في اوله : «قيل لعلي بن ابي طالب اخبرنا عنكم وعن بني اميّة فقال: «بنو اميّة انكر وامكر وافجر» ونحن اصح وانصح واسمح.»[٨]

١) ابن عبد ربه ١: ٣٠٥ ٢) ابن عبد ربه ٢: ٢٧٥

٣) ابن عبد ربه ١: ٢٨٣؛ و ٣: ٢٧٥ ٤) ابن عبد ربه ٣: ٤٠

٥) ابن عبد ربه ٣: ٢٧٠ ٦) ابن عبد ربه ٣: ٣

٧) ابن عبد ربه ٣: ٢٥٣ ٨) ابن عبد ربه ٣: ٤٦

ويذكر في باب اخبار معاوية روايات عن تزاعه مع علي منها قال : « معاوية يوماً لعمرو بن العاص ما اعجب الاشياء. قال: غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه . قال معاوية : اعجب من ذلك ان يعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة»[١].

ويذكر في موضع آخر انه « لما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة واراد ان يلعن علياً على منبر رسول الله (صلعم) فقيل له ان ههنا سعد ابن وقاص ولا نراه يرضى بهذا . فابعث اليه وخذ رأيه . فارسل اليه وذكر له ذلك فقال: ان فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا اعود اليه . فامسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد فلما مات لعنه على المنبر وكتب الى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا . فكتبت ام سلمة زوج النبي (صلعم) الى معاوية: انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انكم تلعنون علي بن ابي طالب ومن احبه وانا اشهد ان الله احبه ورسوله. فلم يلتفت الى كلامها[٢].

واورد روايات في ذم الذين قتلوا آل علي[٣]. وفي الحوادث التي زعموا انها جرت ليلة قتله وقتل ابنه الحسين قال : « ان اناساً حدثوا بمجلس عبد الملك بن مروان انه في الليلة التي قتل في صبيحتها علي ، وفي تلك التي قتل في صبيحتها الحسين ، لم يرفع حجر في بيت المقدس الا وجد تحته دم عبيط »[٤]. وانه عندما انتهب عسكر الحسين وجد فيه طيب ما تطيبت به امرأة الا برصت[٥] . ويحمل على يزيد بن معاوية فيقول عند ذكر موته :« حتى مات يزيد لا رحمه الله[٦]» ، وينقل روايات كثيرة عن ابي الحسن والشعبي والرياشي في مدح علي وآله مثل: «اسلم علي وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو اول من شهد ان لا اله الا الله الخ. وان النبي قد قال فيه :« من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه » وانه قد قال له :« اما ترضى ان

١) ابن عبد ربه ٢ : ٣٠١ وانظر ايضا ٢ : ١٤١
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٣٠٠
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٣١٠
٤) ابن عبد ربه ٢ : ٣١٠
٥) ابن عبد ربه ٢ : ٣٠٩
٦) 〃 〃 ٢ : ٣١٢

تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبيّ لعدي»[1] . ومثل «كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقي منه شيئاً ثم يرشّ له ويقيل فيه» ومثل «قال النبي: الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما»[2] ومثل «انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير علياً فقال له ابوه: يا بُني انه والله ما بنت الدنيا شيئاً الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا. اما ترى علياً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعاً الى السماء. وما ترى بني مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكأنما يكشفون عن الجيف»[3]

وعلى كل حال لم تكن هذه النزعة شديدة في نفس ابن عبد ربه فقد كان معتدلاً – كما ذكرنا – في تشيّعه، وربما الافضل ان نقول في حبه آل علي، ينعى على المتطرفين من اعداء علي واتباعه تطرّفهم قال: «وكان علي بن ابي طالب في هذه الامة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل احبه قوم فكفروا في حبه وابغضه قوم فكفروا في بغضه.»[4] لقد احبّ علياً واهل بيته ولكنه لعن اصحاب عبد الله بن سبأ الذين غلوا في عليّ، وذكر ان علياً احرقهم بالنار[5]. ولا يأنف من ذكر مدح الناس لمعاوية واهله عندما يرى داعياً لذلك كأن يقول مثلاً واصفاً حلمه: «قيل للاحنف بن قيس من احلم انت ام معاوية قال: تالله ما رأيت اجهل منكم ان معاوية يقدر فيحلم وانا احلم ولا اقدر فكيف اقاس عليه او ادانيه»[6] او واصفاً سؤدده: «نظر رجل الى معاوية وهو غلام صغير فقال اني اظن ان هذا الغلام يسود قومه فسمعته امه هند فقالت: «ثكلته اذاً ان لم يسد غير قومه.»[7] ويصف حكمته[8]، ويذكر باباً في فضائله[9]، ويستنزل رضا الله عليه ورحمته في كثير من المواضع[10].

---

١) ابن عبد ربه ٢: ٢٧٤-٢٧٥
٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٧٥
٣) 〃 〃 ٣: ٤١؛ و ٢: ٢٠١
٤) 〃 〃 ٢: ٢٧٥
٥) 〃 〃 ١: ٢٦٧
٦) 〃 〃 ١: ٢١٧ وانظر ١: ٢٤
٧) 〃 〃 ١: ٢١٩
٨) 〃 〃 ١: ٢٧ و ٢: ١٤١
٩) 〃 〃 ٢: ٢٩٩
١٠) 〃 〃 ١: ٢٩ و ١٤٤ و ١٤٥

والغريب بعد هذا كله ان نرى في نفح الطيب للمقري ما يوهم ان ابن عبد ربه صاحب العقد قد وقف موقفاً عدائياً تجاه علي، فقد ورد فيه ما نصه بالحرف: «قال ابو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على ابي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل ان يلي قضاء الجماعة بقرطبة فانزله في بيته الذي كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر في كتب ابي فمر على يديه كتاب فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء. ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم. ثم وصل كذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد. فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب.

أو ما علي، لا برحت ملعناً يا ابن الخبيثة، عندكم بامام!
رب الكساء، وخير آل محمد داني الولا مقدم الاسلام.

قال ابو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب ابي الى الساعة.»[1] وقد استند الى هذه الرواية السيد محمد بن شفيع في مقالته عن ابن عبد ربه وعن وصفه الحرمين في عقده المنشورة في كتاب عجب نامه[2]. نزعم ان قصائد ابن عبد ربه صاحب العقد تمثل موقف الامويين العدائي تجاه علي. ولعل السيد شفيع قد تسرع في حكمه هذا حيث لم يُعرف عن صاحب العقد نزعة عداء لعلي. واظن ان السيد شفيع يسلم معنا ان القصيدة او الارجوزة المذكورة شيء معروف بالاسم لا اثر منه لدينا سوى هذا الخبر. ولا ادري كيف يسوغ لنا الاستناد الى مثل هذا الخبر عن شعر غير معروف نصه ونهمل الآثار الكثيرة التي بين ايدينا في عقد ابن عبد ربه نفسه في كل هذه المواضع التي ذكرنا وفي غيرها. بل اننا نرى في العقد نفسه ايضاً كتاباً خاصاً في اخبار الخلفاء. وتواريخهم يبدأ به بالنبي ثم يذكر الخلفاء. واحداً واحداً حتى يأتي الى علي فلا يهمله، بل يطيل فيه، ويشيد بذكر فضائله، ويسترل رضى الله عليه حتى انه يرحم من كان من شيعته قال: وقال السيد الحميري رحمه الله.

اني ادين بما دان الوصي به وشاركت كفه كفي بصفين[3]

١) المقري ج ١: ٥٨٦
٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٧٤-٢٧٥
٣) شفيع: ٤١٧

· ويصدّر ابن عبدربه الباب عن علي بعبارة « خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه » ثم يقول : « لما قتل عثمان بن عفان اقبل الناس يهرعون الى علي بن ابي طالب فتراكمت عليه الجماعة في البيعة فقال : ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر ليبايعوا ؛ فقال ابن طلحة والزبير وسعد فاقبلوا فبايعوا . ثم بايعه المهاجرون والانصار ثم بايعه الناس . »[1] ويرى القارئ ان لا لبس في هذا الكلام فابن عبد ربه يحسب عليا خليفة بعد عثمان ، ويذكر خبر البيعة له من اهل بدر والمهاجرين والانصار وعامة الناس . ومن الخير ان نلاحظ ان ابن عبد ربه قد اتبع عليًا ، في بحثه عن اخبار الخلفاء ، وتواريخهم ، بابنه الحسن لا بمعاوية حيث نرى في الكتاب نفسه ، بعد فراغ ابن عبد ربه من اخبار خلافة علي ، بابًا جديدًا في خلافة الحسن بن علي[2] يذكر فيه خبر مبايعة الناس له بعد ابيه وخبر صلحه مع معاوية مدة ولايته[3] . ويورد اخبارًا في فضائل الحسن[4] نذكر منها ما يتعلق بمعاوية قال : « ولما بلغ معاوية موت الحسن بن علي خرّ ساجدًا لله ثم ارسل الى ابن عباس ، وكان معه في الشام ، فعزّاه وهو مستبشر وقال له : ابن كم سنة مات ابو محمد ؟ فقال له : سنه كان يسمع في قريش فالعجب من ان يجهله مثلك . قال : بلغني انه ترك اطفالا صغارًا . قال : كل ما كان صغيرًا كبير . ان طفلنا لكهل وان صغيرنا لكبير . ثم قال ما لي اراك يا معاوية مستبشرًا بموت الحسن بن علي فوالله لا ينسأ في اجلك ولا يسد حفرتك وما اقل بقاءك وبقاءنا بعده »[5]

ولابن عبد ربه في عقده فصل في آخر كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات يذكر فيه توقيعات الخلفاء . فيه باب في توقيعات علي بن ابي طالب[6] ، ويتبع اسم علي بعبارة « كرّم الله وجهه »

وكم كنا نودّ لو كانت هذه الارجوزة المفقودة المنسوبة لابن عبد ربه والتي تفرّد فيما نعلم بذكرها المقري ، موجودة الآن علّنا نستطيع ان نكشف منها

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٤ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٨
٣) 〃 〃 ٣ : ٢٩٨ ٤) 〃 〃 ٣ : ٢٩٨-٢٩٩ .
٥) 〃 〃 ٣ : ٢٩٨ ٦) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٦

خبر صاحبها . اما وهي غير معروفة لدينا فانّا لا نستطيع تعيين ناظمها بالضبط انّا لا ارى مانعاً يمنعنا من الظنّ – بعد ما قدّمنا من حب ابن عبد ربه لعلي – انها لرجل من آل عبد ربه غير صاحب العقد ، ولعلها لابن اخيه ، او لاحد احفاده ، اللذين سيرد ذكرهما عند بحثنا عمّا ينسب لصاحب العقد في الشعر الموشح . لاسيما وان المقري سواء أكان يتكلم بلسانه ام راوياً عن غيره ، لم يكن يكتفي في اكثر المواضع بذكر « ابن عبد ربه » فقط بل كان يتبعه ﺑ «صاحب العقد » او يسبقه ﺑ « أحمد»[1] وكلتا اللفظتين غير موجودة في النصّ الذي يدور على الارجوزة .

وهناك مسألة ثانية هي ان طبعة اوربة لكتاب المقري ، وهي التي يرجع اليها السيد شفيع ، يختلف النصّ فيها عمّا هو عليه في طبعة مصر حيث ترى « فمر على يديه كتابٌ فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيه الخلفاء ، ويجعل معاوية[2] » الخ . وظاهر ان الضمير في « فيه » الثانية يعود الى الكتاب . عندئذٍ ليس من الضروري ان يكون هذا الكتاب لابن عبد ربه .

وشيء آخر عدا ما نقلنا عن المقري (وقد استند اليه ايضاً السيد محمد شفيع في زعمه ان قصائد صاحب العقد تمثّل موقف الامويين العدائي تجاه علي) هو رواية في وفيات الاعيان لابن خلّكان يشتم منها (اقول يشتم اذ لا صراحة ايضاً في الرواية تفسّر ما زعمه السيد شفيع) تعرّض صاحب العقد لعليّ او لآله . واظنّ من الخير ان اورد النصّ بحرفه قال :« وله (الضمير يعود الى ابن عبد ربه صاحبنا) من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الخ احد ملوك الاندلس من بني امية .

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس
فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد انس

قال الوزير ابن المغربي في كتاب ادب الخواص وقد روي ان هذه القصيدة شقت عند انتشارها على ابي تميم معد المعزّ لدين الله وساءه ما تضمنته من

---

١) المقري ٢ : ٧٨١ و٨٢٣ ؛ و٤: ٦٠٧ ؛ وطبعة اوربة ١ : ٢٢٧

٢) « طبعة اوربة ١ : ٨٠٨

الكذب والتمويه الى ان عارضها شاعره الايادي التونسي بقصيدته التي اولها:

ربع لزينب قد درس واعتاض من نطق خرس «١»

وليلاحظ القارئ ما ذهبنا اليه من ان لا صراحة في النص تظهر كره ابن عبد ربه لآل البيت ويجوز ان يكون الكره (ان كان واقعاً حيث ان هذه القصيدة مفقودة ايضاً ولا نعلم مضمونها) موجهاً لاحد الفاطميين لسبب خاص لا نعلمه. ومن الخير ان نلاحظ هنا اختلاف الزمن بين المنذر بن محمد الذي قيلت فيه هذه القصيدة وبين المعز لدين الله الفاطمي؟ اما المنذر فقد تولى الامارة في الاندلس من سنة ٢٧٣ الى سنة ٢٧٥[٢] ويجب ان تكون القصيدة قد نظمت سنة ٢٧٣ عند تولي المنذر امارته. اما المعز لدين الله فقد تولى الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١[٣] اي بعد موت المنذر بنحو ٧٠ سنة وبعد موت ابن عبد ربه بثلاث عشرة سنة واستمر حتى سنة ٣٦٥ ويستبعد ان لا تنتشر قصيدة فيها تعرّض لاشخاص معروفين او لمذاهب دينية عند من يهمهم امرها الا بعد انشادها او وضعها بلا اقل من سبعين سنة. على ما عرف من الاتصال بين افريقية والاندلس[٤]

وعلى من ردّ الشاعر الايادي التونسي؟ اعلى ابن عبد ربه ثاوياً في قبره وقد انسلخ بعد نظمه هذه القصيدة لا اقل من سبعين حولاً؟

ونعجب كيف لم يلتفت الى هذا الامر ابن خلكان، بل نعجب كيف جازت هذه الرواية على السيد محمد شفيع.

واذاً فالرواية مشوشة لا نطمئن اليها. ونعود الى رأينا في انه يجوز ان

---

١) ابن خلكان ١: ٤٦ ٢) ابن عبد ربه ٢: ٣٦١

٣) E. Graefe : *Faṭimids* [The Encyc. of Islam vol. 2, p. 89.]

٤) بعث القيرواني يذمي على ابن حزم تقصير اهل الاندلس في تخليد اخبار علمائهم ومآثرهم وفضائلهم يقول: «فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتباً لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب لو نفث في بلدكم مصدور لاسمع من في بلدنا في القبور فضلاً عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد».

(المقري طبعة اوربة ٢: ١٠٩، وطبعة مصر ٢: ٢٦٧)

يكون هذا الرجل من آل عبد ربه، غير صاحب العقد، وانه نظم قصيدة سينية تعرض فيها لهؤلاء الفاطميين عارضاً شاعر المعز المذكور، ثم اختلط الامر على ابن خلكان فاخذه مغلوطاً فيه السيد شفيع.

ومن الخير ان نذكر هنا ان هناك روايات تشير الى مطاعنه في العباسيين ومدحه المروانيين لعلّ اصلها رواية القيرواني ابي عبيد الله في رسائل البلغاء.[1] يقول فيها «واما ابن عبد ربه الاندلسي ... فقد صافتنا اشعاره ووقفنا على اشعار صبوته الانيقة وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائحه المروانية ومطاعنه في العباسية فوجدناه في كل ذلك فارساً ممارساً وطاعناً مداعساً.»[2] وغني عن الذكر ان مدحه للمروانيين وطعنه في العباسيين لا يمنعان ان يكون ذا ميل شيعي معتدل. لاسيما اذا لاحظنا ذكره لبعض الروايات التي يظهر منها ان بني مروان لم يقصدوا الى التعرض لآل البيت والكيد لهم، وان بعض زعماء الدعوة الشيعية من آل علي قد بايع عبد الملك بعد اخماد ثورة ابن الزبير وبعث اليه انهم عصابة لا تفارق الجماعة، وان عبد الملك بعث اليه والى جماعته ميثاقاً وعهداً ما وفوا ببيعتهم وكتب الى الحجاج ان لا يعرض لاحد منهم وكان في كتابه للحجاج: « جنّبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب واني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي.»[3]

ولا بدّ لنا في ختام هذا الفصل من الاشارة الى ان هذه النزعة على اعتدالها وخفائها على اكثر المؤرخين لم تفت انتباه المؤرخ الامام الحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية في التاريخ[4] فقد نقل حاجي خليفة عنه في كتابه كشف الظنون ... ما نصه: «يقول ابن كثير انه يستدلّ من كلامه (الضمير يعود على ابن عبد ربه صاحب العقد) على تشيّع منه »[5]

هذا ولعلّ تشيّع ابن عبد ربه الذي درسنا من النوع المعروف «بالتشيّع الحسن.»

١) صفحة ٢٥١ طبعة دار الكتب الكبرى بمصر سنة ١٩١٣، بعناية محمد كرد علي.

٢) اقرأ ايضاً اعلام الكلام للقيرواني، طبعة الخانجي مصر ١٩٢٦؛ صفحة ٢٦ وحاجي خليفة، طبعة اوربة، ٤: ٢٢٣

٣) ابن عبد ربه ٢: ٢١٧

٤) حاجي خليفة ج ١: ١٨٧

٥) حاجي خليفة ج ٣: ١٢٤

التذكارات القرنية اللبنانية

في السنة ١٠٣٣

بقلم الشيخ سليم الدحداح

توافق سنة ١٩٣٣ الحالية تذكارات قرنية عديدة، نكتفي بذكر اشهرها من المتعلق بتاريخ بلادنا اللبنانية مقتضبين في الثانية الاولى منها، متوسعين نوعاً في التذكار التاسع الخاص بالمثلث الرحمات المطران يوسف الدبس، فنقول:

١

ذكر البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخه انه في سنة ١٣٣٣ اتى بيروت مراكب جنوية للقبض على مراكب الكتيـلان. وروى كيف دخلوا ميناء بيروت، وكيف استولوا على الاعلام السلطانية، وان السلطان غضب على امراء الغرب ظاناً خيانتهم، ثم أطلق سبيلهم لما تأكد براءتهم. والعجب ان صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت، وهو من هولاء الامراء، لا يذكر هذه الحادثة، مع ان وقوعها حصل حتماً في عهد والده او جده. وقد ذكرها الشدياق في اخبار الاعيان.

٢

في سنة ١٦٣٣ اخذ احمد باشا الحافظ قائد الجيوش العثمانية بالاستعدادات لاحاطة البلاد الخاضعة لسلطة الامير فخر الدين الثاني المعني من كل الجهات تأهباً لاجتياحها. وقد ذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٣، هذه الاستعدادات ثم اعمال الزحف وانتصارات العثمانيين على فخر الدين، والتجاءه الى المغاور، ثم

تسليمه مع اولاده (بعد قتل الامير علي في البقاع) الى الحافظ الذي ساقوهم مكبلين بالحديد الى الشام فالقسطنطينية ، وما جرى هناك حتى قتلهم جميعاً بامر السلطان . مع ان كل هذه الحوادث لم تتم في سنة ١٦٣٣ ، بل حقيقتها كما بينها مفصلاً الشدياق في اخبار الاعيان . فالاحاطة بلبنان والاستعداد لدخوله حصل في سنة ١٦٣٣ . وانكسار الامير وقتل ابنه علي وتسليمه مع بقية اولاده وسوقهم الى دمشق فالقسطنطينية وقع في سنة ١٦٣٤ . واخيراً قتله مع اولاده ، الا اصغرهم ، في القسطنطينية ، كان في سنة ١٦٣٥ .

٣

وفي تلك السنة ١٦٣٣ ذاتها جاء عبيه الامير علي علم الدين اليمني ، وحل ضيفاً على الامراء التنوخيين . وفيما كان على الغداء عندهم في السراي ، وثب عليهم وقتلهم ، وكانوا ثلاثة ، ثم قتل اولادهم الصغار في دار الحريم ، وعددهم اربعة ، فانقرضت بهم سلالة الامراء التنوخيين . وقد كان ظهر منهم صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت ، والامير عبد الله الذي يعتبره الدروز باسم « الامير السيد » وهم حتى الآن يزورون قبره كمقام ديني جليل في عبيه . ومنهم ايضاً الاميرة نسب والدة الامير فخر الدين الثاني الشهير والامير يونس المعنيين .

٤

في ١٥ كانون الاول ١٦٣٣ ذاتها ، توفي البطريرك الماروني يوحنا مخلوف الاهدني ، وخلفه في ٢٨ من الشهر نفسه البطريرك جرجس عميرة الاهدني ، وكلاهما من تلامذة مدرستنا المارونية في رومية .

٥

في ٩ شباط ١٧٣٣ توفي البطريرك الماروني يعقوب عواد الحصروني . وكان من تلامذة المدرسة المشار اليه . وقد اشتهرت بطريركيته اولاً بطول عهدها ، وثانياً بحادث خاص ألا وهو اجماع الاساقفة الموارنة على مقاومته وعقدهم مجمعاً اجبروه فيه على توقيع صك اقرار بكل ما نُسب اليه من التهم ، واتفاقهم على تنزيله من المقام البطريركي ، وانتخابهم عوضاً عنه السيد يوسف مبارك من ريفون . ولبث هذا الاخير يدير البطريركية مدة . الا ان الكرسي الرسولي

اعتبر عمل الاساقفة تجاوزاً على سلطته ، فامر بعض قصّاده باجراء فحص هذه الامور ، وبعد حصوله على التقارير اللازمة ، ألغى انتخاب يوسف مبارك ، وامر باعادة يعقوب عواد الى مقامه (١٧١٣) . ومن يرغب في الاطلاع على كل ما يتعلق بادارة يعقوب عواد وطباعه ، واسباب القيام عليه ، فليراجع ماكتبه المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات ، احد مؤسسي الرهبانية ورؤسائها الاولين والذي مات مطراناً على حلب في سنة ١٧٣٢ (سلسلة بطاركة الموارنة ، الطبعة الثانية ١٩٠٢) .

وفي ٢٤ شباط ١٧٣٣ ، انتخب الاساقفة خلفاً ليعقوب عوّاد السيد يوسف الخازن مطران غوسطا . وقد كان يُدعى ضرغام لما كان علمانياً ، وكان متزوجاً وله ولد ذكر اسمه ميلان . ولما توفيت زوجته اقتبل سرّ الكهنوت ، ثم سيم اسقفاً ، واخيراً انتخب بطريركاً كما رأيت . وفي عهده صار انعقاد المجمع الماروني المعروف باسم « المجمع اللبناني » في دير لويزة ، في زوق مصبح ، سنة ١٧٣٦ ، وهو لم يزل دستور الطائفة المارونية حتى الآن .

٦

في سنة ١٨٣٣ تمّ عقد الصلح بين السلطان محمود الثاني العثماني ومحمد علي باشا حاكم مصر ، وقد تنازل السلطان عن ولاية ادنة وولايات سورية ، واعطاها الى محمد علي ، فضمّها هذا الى بلاد مصر . جرى ذلك في اليوم الخامس من شهر ايار في مدينة كوتاهية ، احدى مراكز متصرفيات ولاية خداوندكار ، حيث كان بلغ ابرهيم باشا بالجيش المصري بعد انتصاره في واقعة قونيه ، ووقوع القائد العام العثماني الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا اسيراً في يد المصريين . وعلى اثر توقيع هذه المعاهدة ، اطلق ابرهيم باشا الحرية لاسيره المومى اليه ، وتراجع بالجيش المصري الى جنوبي جبال الطوروس التي اصبحت بتلك المعاهدة الحدّ الفاصل بين ولايات الدولة العثمانية واراضي دولة مصر .

٧

وفيها توفي المطران جرمانوس ثابت البيروتي ، مطران جبيل والبترون ، وقد كان اخا البطريرك يوسف التيان لامّه . وهو آخر مطران شرعي على تلك

الابرشية . اذ انه بعد وفاته اتفقت كلمة البطريرك يوسف حبيش ومجمع اساقفته على الطلب من المجمع الروماني المقدس ان تُخصص الابرشية المشار اليها بالبطريرك لقربها من محل اقامته ، وان تُجعل ابرشيته القديمة ، وهي صور وصيدا ، البعيدة عن مركزه ابرشيةً مستقلة لها اسقف شرعي . وقد تمّ هذا الاستبدال قانونياً ابتداء من سنة ١٨٣٧ ، وكان اول اساقفة صور وصيدا الشرعي المطران عبدالله البستاني ، الذي كان لحدّ ذلك التاريخ وكيلا بطريركيًا عليها.

٨

وفيها ، في ٢٤ آذار سنة ١٨٣٣ ، جرى في دير الشير للرهبنة الباسيلية الحلبية للروم الكاثوليك انتخاب بطريرك خلفاً للبطريرك موسى قطان المتوفى قبل شهر ونصف . فاجتمعت كلمة الاساقفة على انتخاب الوكيل البطريركي ، اسقف ميراليكية شرفاً ، بطريركاً لطائفة الروم الكاثوليك ، وهو مكسيموس مظلوم الحلبي الشهير . وكان قديماً قد سيم رئيس اساقفة على حلب ، الا ان بعض الظروف اوجبت طلبه الى رومية . فبقي هناك مدةً طويلة تنازل في اثنائها عن ابرشية حلب . ولم يعد الى لبنان الّا في تشرين الثاني ١٨٣١ مصطحباً معه الاب ريكادوتا والاب بلانشه والاخ هنس اليسوعيين لتأسيس مدرسة اكليريكية لطائفته في عين تراز . لكن المشروع لم يتمّ . وفي ٢٤ آذار ١٨٣٣ انتخب بطريركاً ، وقد توفقت مساعيه بالحصول من لدن السلطان محمود الثاني العثماني على استقلال طائفته رسمياً عن طائفة الروم . ونال من لدن الكرسي الرسولي ان يضيف على لقبه الانطاكي لقب « اسكندري واورشليمي » . وبالاختصار كان عهد بطريركيته عهدًا سعيدًا على طائفته.

٩

في تشرين الاول من سنة ١٨٣٣ ذاتها وُلد في قرية من اعمال جبة بشرّاي يوسف الياس الدبس . وُلد في عائلة فقيرة . لكنّ العناية الالهية هيّأت له الوسائل لتمكن من الدخول اولًا في خدمة الخوري بطرس مسعد ، شقيق البطريرك بولس مسعد ، ثم الخوري نعمة الله الدحداح . فادخلاه مدرسه عين ورقة ، تلقّى فيها الدروس . وبعد سيامته كاهناً في سنة ١٨٥٥ ، تعين استاذًا للعربية

في مدرسة مار يوحنا مارون في عهد رئاسة الخوري يوسف فريفر . وفي سنة ١٨٦٠ تعيّن كاتباً للسيد البطريرك في بكركي . وكان زميلاً في هذه الوظيفة الجديدة لاستاذه القديم الخوري نعمة الله الدحداح . وفي ١١ شباط سنة ١٨٧٢ رقّى السيد البطريرك هولاء الكهنة الثلاثة ، نعمة الله الدحداح ، ويوسف الدبس ، ويوسف فريفر ، الى درجة الاسقفية . وسأم الاول زمام ابرشية دمشق ، والثاني ابرشية بيروت ، واما الثالث فصار وكيلا بطريركيًا على بلاد البترون ، مع بقائه رئيساً لمدرسة مار يوحنا مارون . وقد لبث السيد يوسف الدبس مطراناً لابرشية بيروت حتى وفاته في ٧ تشرين الاول ١٩٠٧ ، فيكون ادارها مدة ٣٥ سنة وثمانية اشهر تقريباً .

وله تأليفات علمية في اللغة العربية ، وجدلية يدافع فيها عن تاريخ ومعتقدات الموارنة ، واخبار رحلات وتأليفات تاريخية اشهرها : « سِفر الاخبار في سفر الاحبار » ، وهو خبر رحلة السيد البطريرك سنة ١٨٦٧ الى رومية فباريس فالقسطنطينية ، و« روح الردود » ردًا على الخوري يوسف داود ، سنة ١٨٧١ يثبت فيه دوام اتحاد الموارنة بكنيسة رومية العظمى ، واخيرًا تاريخ سورية ، طبعه من ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ ، في سبعة اجزاء . استخلص منه كتاباً ثامناً دعاه « الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل » ، وهو تاريخ للطائفة المارونية منذ ايام القديس مارون حتى نهاية السنة ١٩٠٥ . وسنعود الى الكلام عنه .

وفي عهد اسقفيته خدم العلم والدين بما انشأ وأسس . فقد بنى المدرسة المارونية الكبرى المعروفة « بمدرسة الحكمة » ، والمشهورة باسم مدرسة الدبس حتى اليوم ، وفتح ابوابها للطلبة في تشرين الاول ١٨٧٦ . وقد بنى كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية ، واحتفل باول قداس فيها في احد الشعانين في اذار سنة ١٨٩٤ . وبنى كنيسة القديس مارون سنة ١٨٧٥ . وجدد بناء كنائس مار الياس رأس بيروت ، والسيدة العذراء في رأس النبع ، ومار مخايل في حي الكرنتينا . فضلاً عمّا شيّد من الكنائس ، وألّف من الجمعيات في قرى جبل لبنان ، في المتن والشوف التابعة لابرشيته .

فيكون والحالة هذه من الاحبار الذين تفردوا بكثرة الاعمال والآثار

الحسنة . ولهذا يكون ابناء الابرشية قد احسنوا عملاً بالاحتفال بيوبيله الاسقفي الفضي سنة ١٨٩٧ ، وبتأليفهم لجنة برئاسة سيادة الهمام المطران اغناطيوس مبارك ، مطران الابرشية الحالي ، لاقامة اثر يخلّد ذكره . فارتأى سيادته ان يكون هذا الاثر تمثال الدبس يوضع على باب كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية . وقد استحسن هو واللجنة ان يضاف الى تمثال الدبس تمثال سلفه المطران طوبيا عون . وصار ازاحة الستار عن التمثالين في شهر كانون الاول المنصرم . ولو تأخر ذلك الاحتفال الى سنة ١٩٣٣ الحالية لوافق مرور قرن كامل على ولادة السيد يوسف الدبس .

ولنعد الآن الى تآليف الدبس الجدلية التاريخية فنقول :

ان اول من كتب من الموارنة عن تاريخ الطائفة واصلها هم تلاميذ مدرسة رومية التي شيّدها البابا غريغوريوس الثالث عشر ، صاحب اصلاح الحساب ، في اواخر القرن السادس عشر . واشهر من كتب منهم هم القس مرهج نمرون ، والصهيوني ، والحاقلاني ، وعلى الخصوص البطريرك اسطفان الدويهي ، الذي اشتهر تاريخه المطبوع في اللغة العربية في المطبعة الكاثوليكية . وقد كتب الساعنة واخصهم يوسف شمعون السمعاني الطائر الشهرة في هذا الموضوع ايضاً . الا انه لا يُنكر ان اساس كل هذه التواريخ هو كتابات الدويهي . ومع ما للدويهي من فضل جزيل فلا يمكنا ان ننفي وجود الاغلاط التاريخية العظيمة في تاريخه للموارنة . وقد نسج البطريرك يوسف اسطفان ، والبطريرك بولس مسعد ، والشدياق ، والدبس على منوال الدويهي . وما كنت اعلم من اين جاء الدويهي بامير افرنسي يستولي في سنة ٦٠٠ على سورية ويجعل مدينة انطاكية عاصمة له ؟ واي مطالع للتواريخ يجهل ان سورية كانت حينئذٍ من اعمال الدولة الرومانية الشرقية ، وكان الامبراطور موريق ، الجالس حينئذٍ على عرش القسطنطينية ، ذا صولة مكينة ، فضلاً عن المحافظة على سورية بامان ، من التدخل في شؤون دولة الفرس ، فاعاد الى عرشها ابن ملكها المخلوع بعد ان ازوجه ابنته . ولمّا قتل موريق بثورة احدثتها الجنود في العاصمة ، وجلس رئيس الثوّار على عرشه ، تدخل هذا الملك الفارسي (وهو كسرى الثاني ابرويز) بحجة

اخذ ثار حميه ، وغزا سورية فاجتاحها مرارًا من ٦٠٤ الى ٦٢٠ ، ودمّر اكثر مدنها ، ومنها انطاكية واورشليم ، واخذ عود الصليب المقدّس الى بلاد العجم ، بعد ان ساق بطريرك القدس اسيرًا . فلم يذكر احد من المؤرخين وجود افرنج في سورية عموماً وانطاكية خصوصاً في تلك الحقبة . . . فما الذي اوصل الفرنج الى سورية وقدكانوا حينئذٍ قبائل منقسمة على ذواتهم يقتتلون على قرى ومدن صغيرة من تلك الاقسام المتعدّدة التي جزّأوا اليها امارات واقطاعات غالية ، وكان يفتخر رؤساؤهم بالحصول على القاب وخُلع يهديها اليهم امبراطور القسطنطينية ! . . .

هذا ولا يخفى ان الدبس قضى كل حياته مناضلًا عن روايات الدويهي ، ومجتهدًا في اثبات صحة تاريخه ، وفي اظهار ان المردة[1] هم الموارنة .

ذكر تاوفانوس المؤرخ البيزنطي ان المردة دخلوا لبنان في سنة ٦٧٧ ، وهو يدعوهم مردائيين . ثم بعد ان يأتي على ذكر الحروب التي كانت بين قسطنطين اللحياني ، ومن بعده ابنه يوستنيانوس الثاني من جهة ، وبين الخلفاء الامويين من جهة ثانية ، يذكر المصالحة الاخيرة التي جرت بين عبد الملك ويوستنيانوس الثاني ، وخروج المردائيين ، وكان عددهم حينئذ ١٢ الفاً من حملة السلاح ، من لبنان وعودهم الى الاناضول بامر يوستنيانوس سنة ٦٩٢ .

فقد شاء الدويهي ومن اتى بعده من علماء الموارنة ، وفي خاتمتهم السيد يوسف الدبس ، اثبات كون المردة هم اصل الموارنة ، مدّعين ان كلمة « مردة » انما هي لقب دعاهم به ملوك القسطنطينية لتمرّدهم عليهم بسبب هرطقة يوستنيانوس الثاني الذي تبع هرطقة المشيئة الواحدة ، على زعمهم .

---

١) المردة قبيلة من سكان الجبال على حدود ارمينية ، كان ملوك الروم يرسلون منهم جنودًا لحماية الحدود ، كما كان يصنع امبراطرة المانية القديمة بقبائل الكرواتيين وخلافهم في اجيال القرون الوسطى . وقد اشتهر المردة بتنقلاتهم اذ كانوا يصطحبون نساءهم واولادهم حين ذهابهم بتلك المهمات . ولبعض المؤرخين كتب مشهورة عن هذه التنقلات التي دعيت باسم (*migrations*) . واسمهم الوارد باللغة اليونانية يدل على عدم وجود المعنى العربي الموهوم .

والغريب كيف فات كلّ هولاء العلماء عدم امكان هذه التسمية العربية من قبل ملوك انهم اليونانية لشعب كانت حينئذٍ لغته سريانية وقد استمرت بعد ذلك اجيالاً عديدة! وقد فاتهم ايضاً انه لامرٌ غريب ان يظلّ نسل المجاورين عن لبنان محافظاً على اسم «مردة» ، وان يتخذ الذين ظلّوا مقيمين في لبنان اسم «موارنة» !

وقد فاتهم خاصةً ان يوستنيانوس الثاني لم يكن من ذوي هرطقة المشيئة الواحدة . وقد كتب الاب العالم العلّامة لامنس اليسوعي ، والاب انستاس الكرملي مقالات متعددة في هذا الصدد في اعداد مجلة المشرق في السنة ١٩٠٢ والسنة ١٩٠٣ . وحينئذٍ نهض سيادة الطيب الاثر المثلّث الرحمات المطران يوسف دريان النائب البطريركي ، وكتب مقالةً بعنوان «بحث في المردة والجراجمة والموارنة» نشرها بكراسة صغيرة بدون امضاء في شهر تموز سنة ١٩٠٣ أتى فيها برأيٍ يخالف رأي الدويهي وسائر من تبعه ، وجاهر فيه بان المردة ليسوا موارنة بل خيل للروم . فكان اول كاتب ماروني اراد اصلاح ما ورد في تاريخنا من الاغلاط .

وهنا كثرت المقالات والكتابات التي نشرها اصحاب الآراء الثلاثة . وبهذه المناسبة استميح القرّاء عذرًا فاذكر لهم بعض تفاصيل لهذه الحادثة التي اشتركت فيها شخصياً .

كان المرحوم نجيب حبيقه ، المأسوف على شبابه وعلمه ، قد اخذ هو والصديق الياس جدعون جريدة «المصباح» من صاحب امتيازها جان بك نقاش . وكانا يصدرانها بشكل كراس بست عشرة صفحة ، وذلك منذ اول آذار ١٩٠٣ حتى ٢٨ شباط ١٩٠٥ . ونظرًا لصداقتي المتينة مع المرحوم نجيب وقد قضينا معاً السنوات الثلاث الاخيرة من دروسنا ، كنت اتردّد على مطبعة جدعون ، واساعده مع الصديقين بشاره الخوري صاحب البرق ، ويوسف نخله ثابت ، في كتابة مقالات الجريدة . فكان دائماً يكلفني كل ما يختص بالتاريخ ، وكثيراً ما كان ينشر ما احرّره له بدون امضاء فيظهر للقرّاء كانه من قلم الجريدة . وهكذا ظهر في المصباح اربع مقالات في اعداد مختلفة هذه عناوينها وتواريخها:

١ ان المردة والجراجمة موارنة وليس الموارنة خيل للروم
وهو كراس لسيادة الدبس
في عدد ١٤١٦–٢٧ المؤرخ في ٥ ايلول ١٩٠٣

٢ عود الى البحث في المردة والجراجمة والموارنة
مقالة لسيادة دريان
في عدد ١٤٢٧–٤٠ المؤرخ في ١٩ كانون الاول ١٩٠٣

٣ المردة والجراجمة والموارنة
بصدد رسالة السيد دريان جواباً على مقالة العالم الايطالي دي غوبرناتيس
قنصل ايطالية السابق في مجلة La Rassegna Nazionale
في عدد ١٤٣٦–٤٩ في ٢٠ شباط ١٩٠٤

٤ ختام الجدال في امر المردة والجراجمة والموارنة
بمناسبة مقالة لسيادة دريان
في عدد ١٤٤١–٥٤ بتاريخ ٢٦ اذار ١٩٠٤

ومما قلت فيها ما يلي حرفياً :

« ولا شك بان من طالع رسائل سيادة المطران دريان الموضوعة بهذا المعنى والتي اشرنا اليها في اعدادنا السالفة يرى في هذه الكراسة الجديدة نتيجة منطقية حقيقية لكل ما قاله واوضحه سابقاً مبنية على اصدق البراهين واقواها ، وبصل بلا شك الى الحقيقة التاريخية عن اصل طائفتنا ويزول من ذهنه اثر ما احدثه في تاريخنا تلامذة مدرسة رومية ، وما يعتقده العموم وهماً انه تقليد ثابت . وعليه فنحن نرفع لسيادته احسن الثناء لما اتاه من خدمة الحقيقة في هذا الموضوع ولما استحقه من شكر الطائفة والعالم العلمي .

وفي الختام لا يسعنا الا ان نقترح على سيادته ان يجمع في كتاب واحد البراهين التي اوردها بمقالاته هذه المتعددة فيذكر فيه تاريخ هذا البحث مع تفاصيل الجدال من اخذ ورد فينشره بين ابناء الطائفة ومحبي التاريخ والعلم وذلك تعميماً للفائدة وتأييداً للحقيقة فيكتسب كل ثناء وشكر ويكون قد خدم العلم والتاريخ خدمة لا يمحوها كرور الايام . » (اه)

وقد نزل سيادة الطيب الاثر المطران يوسف دريان عند رغبتنا هذه ، ونشر الكتاب المذكور مطبوعاً في المطبعة العلمية للصديق يوسف صادر في ١٩٠٤ ، واهدى اليَّ نسخة منه لم ازل محتفظاً بها .

اما سيادة المطران الدبس فقد سخط كثيراً على « المصباح » لاعتقاده ان تلك المقالات للجريدة . ولما ذهب المرحوم نجيب حبيقه ، مع نسيبه المرحوم الدكتور سليم الجلخ ، لزيارته في عيد القيامة في اوائل نيسان سنة ١٩٠٤ ، قابله

مقابلة خشنة ولامه كثيراً وشدّد النكير عليه حتى خرج المرحوم نجيب مسناء اشدّ الاستياء من مقابلة سيادته ، ودبّج في مفتتح اول عدد من المصباح مقالة هذا عنوانها :

« ماذا يقول المصباح وماذا يقال عنه ؟ »

ظهرت في ٩ نيسان ١٩٠٤ ، عدد ١٤٤٣–٥٦ ، ولا يمكن تلخيصها بل يجب مطالعتها كلها لما حوته من صدق اللهجة وقوة البرهان وحبّ الحقيقة . وهي طويلة استغرقت اربع صفحات من المصباح . وبالاختصار فانها آية في البراهين المحكمة والعواطف الصادقة والتضحية المجرّدة .

ومع كل هذا ، نشر المطران يوسف الدبس بعد ذلك الكتاب الذي ذكرناه سابقاً في تاريخ الطائفة وهو مطبوع في سنة ١٩٠٥ ، دون ان يعود عن خطأه ، بل ظلّ معتقداً ان ما قاله هو الحقيقة .

وظلّ يكتب عن المردة انهم الموارنة — ولا اعلم ما هو سرّ الفخر في ذلك ؟ — وان المردة « خرجوا من لبنان » في السنة السادسة لملك قسطنطين ، مع ان عبارة المؤرّخ تاوفانوس اليوناني صريحة تقول انهم « دخلوا لبنان » وظلّ يتهم كل من يقول خلاف ذلك بالعداوة للموارنة والتعرّض الاعمى ضدهم ، الامر الذي جعل العالم سيمون ڤالهي ، وهو من كبار كتبة الآباء الصعوديين ، ان يكتب « بان الشرقيين عوائد وعبارات خاصة للطعن حين جدالهم مع بعضهم وان سيادة الدبس ظناً منه بانني من هؤلاء الشرقيين قد اتحفني بما اعتادوا استعماله فيما بينهم ! » ... (اصداء الشرق ١٩٠٢ .

والخلاصة : يحق لنا القول بان سيادة المطران يوسف الدبس ، على كثرة تأليفاته ، لم يقم بخدمة كبيرة لتاريخ الموارنة[1]

---

١) قد كان المثلث الرحمات المطران بطرس شبلي ، خلف الدبس على كرسي بيروت ، مقتنعاً بعدم صحة كتابات الدويهي ومن تبعه في ما يتعلق بتاريخ الطائفة ، وكان وسيادة درباين على مبدأ واحد في هذا الخصوص . واني لمتأكد بانه لو فسح الله في اجله ، لكان نشر تأليفات قيّمة في هذا الموضوع ، ولا اشك بانه قد ترك مخطوطات تتعلق به يجدر بورثته ان ينشروها خدمة للتاريخ ، واظهاراً لفضل المؤلف الجليل .

محاولات في درس ميراد

يسوع الانجيل ويسوع جبران

بقلم امين خالد

٢

على ان في عبارته الثانية : « انتم لا تعرفون ان الارض زُفت الى الشمس وان الارض هي التي تبعثنا الى الجبل والى الصحراء » [١] رموزاً لا تقبل التأويل بالصوفية ابداً. فالارض مصدر للمادة التي بنى عليها منكرو الوحي نظرياتهم ، والشمس اليست رمزاً لمصدر النور والحرارة الطبيعية التي لا دخل فيها لوحي او الهام سماوي ؟ وعندما اقترن هذا النور بالارض تولدت القوة التي تبعثنا الى الجبل والى الصحراء، اي ترفعنا الى قمم العلاء. وتدفعنا الى مجال الحرية اللامتناهية، تلك الحرية التي طالما تاقت نحوها نفس جبران وتغنى بها ابطاله الساثرون في اثر مريم المجدلية ، تلك الحرية المبهمة الغير المنظمة التي لا يحددها الا الاحتياج اليها ولا يبررها الا حبّ المرء اياها في مطلق الظروف وجميع الاحوال.

قالت يونّا امرأة حافظ هيرودس :

« وانا نفسي كنت في ذلك الوقت زانية في نظر الناس ، لانني احببت رجلاً لم يكن زوجاً لي ، وكان صدوقياً.

وفي احد الايام جاء الصدوقيون الى بيتي وكان عشيقي معي ، فقبضوا عليّ وحبسوني ، اما عشيقي فهرب وتركني.

ثم قادوني الى ساحة المدينة حيث كان يسوع يعلّم الجموع.

وكانوا يرغبون في تقديمي اليه ليجربوه ويصطادوه بفخاخهم.

ولكن يسوع لم يحكم عليّ . فقد البس العار من جاؤوا بي ليلبسوني ثوب العار ، واوسعهم لوماً وتوبيخاً.

اما انا فانه اطلقني بسلام.

وبعد ذلك صارت جميع اثمار الحياة التي لا طعم لها لذيذة في فمي ، والورود التي لا عطر

١) يسوع ابن الانسان ، ص ٢١٥

لما صارت منبتاً للعطر الجميل في منخري. فصرت امرأة لا تعرف الذكرى الفاسدة – اجل صرت حرة ولم يعد رأسي منحنياً.» (١

اين هذا من شريعة الزواج التي تضمنتها الآية التاسعة من الفصل العاشر في انجيل مرقس اذ يقول: «ما جمعه الله لا يفرّقه انسان» .

وقال على لسان «سالومة الى صديقة لها» عن «رغبة لم تتحقق» :

« بل قد كان كالحور الجميل، وكالبحيرات بين التلال، وكالثلج على لبنان. وكنت اتوق لتبريد عطش شفتيّ في ثنايا ثوبه.

بيد انه كان بعيداً عني، وانا كنت خجولة. وكانت امي تمنعني عن الذهاب اليه كلما دعاني حنيني الى السير وراءه . . .

. . . ولكن قلبي لم يحفظ كلامها، فقد احببته سراً وكان حبه يمنطق نومي باللهيب.

قد مضى اليوم. وقد ذهب بذهابه شيء عظيم كان فيّ. ومن يدري فقد يكون شبابي قد ذهب مني لانه لم يطق ان يقيم هنا بعد ان رأى اله الشباب قتيلاً.» (٢

في فؤاد سالومة هذه عاطفة حارة نحو التسامي والنقاوة وهي تشعر بالحاجة الى تقبيل اذيال الذي اجتمعت فيه هذه المزايا، وامها تنهاها عن التعلق به. ولكن تمنّي الحرية في الحب يحملها على التمرد. ولذلك تراها متحسرة يائسة لان رغبتها لم تتحقق. فاين الايمان الذي يجب ان يحيي النفس، ولاسيما امام الموت؟ واين الرصانة الروحية التي تتقبل الحزن العميق بقلب كبير؟ أمثل هذه الزفرات الحرّى يحاكي التضحية الصامتة التي تؤديها النساء المتألمات امام الصليب! كلا انها لعاطفة نفعية انانية اكثر مما هي تأثر اخلاص نزيه.

وهذا البون الشاسع في النوع والكمية بين ميزات الشخصيات التي يستنطقها جبران وبين اشخاص العهد الجديد هو الذي يولّد فساد العقيدة، ويعطل الفنّ، ويبرهن عن سوء نية الكاتب الذي ضرب بالحقيقة عرض الحائط عندما كان يعالج مواضيع كتابه. تأمّل كيف يشوّه صورة السيد المسيح القائل «انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت الله» (٣ فيبرزه حريصاً على التدقيق في الداخل والخارج الى صندوقه من العملة. وكيف يصور

١) يسوع ابن الانسان، ص ٢٧–٢٨
٢) يسوع ابن الانسان، ص ٦٥–٦٦
٣) مرقس ١٠: ٢٥

المشترع الزاهد كانه من العملاء الذين يأسر مشاعرهم تمايل امرأة في المطعم فيستلطفون لعاطفة تأخذ مدى حبها دون ما تحفظ ولا مداراة . كل ذلك واضح في حديث « آحاز الجسيم صاحب الفندق » عن « العشاء قبل الفصح » قال :

« وكانت زوجتي قد اعدت سمكاً من البحيرة ، ودراريج من حوران حشتها بالارز وحبوب الرمان واحضرت انا لهم جرة من خمرة سروتي .

ثم تركتهم لانني شعرت بانهم راغبون في ان يكونوا وحدهم .

وقد اقاموا في العلية حتى خيّم الظلام ، ثم انحدروا جميعهم معاً من العلية ، ولكن يسوع وقف هنيهة عند قدمي السلم ، فنظر اليّ والى زوجتي ، ثم وضع يده على راس ابنتي وقال : ليلتكم سعيدة جميعاً ، انا سنأتي ثانية الى عليتكم . . .

حينئذ التفت الى يهوذا الاسخريوطي الذي كان يحمل كيس الجماعة ، وقال له : « اعطني شاقلين »

فاعطاه يهوذا شاقلين وقال له : « هذه آخر قطع من الفضة في كيسي »

فنظر اليه يسوع وقال له : « قريباً جداً سيمتلئ كيسك فضة »

ثم وضع الشاقلين في يدي وقال : « اشتر بهذا المال منطقة حريرية لابنتك ومرها ان تلبسها في عيد الفصح تذكاراً لي . »

قال هذا ونظر الى وجه ابنتي ثانية وانحنى وقبّل جبينها ثم قال ثانية : « ليلتكم سعيدة جميعاً » .

وسار في طريقه .

يقولون لي ان ما قاله لنا قد دوّنه احد اصدقائه على رق عنده ولكنني اعدته على مسامعكم كما سمعته من شفتيه .

اني لا انسى ما حييت رنّة صوته وهو يقول هذه الكلمات : « ليلتكم سعيدة جميعاً »

فاذا اردتم ان تعرفوا اكثر من هذا عن النبي الجديد فاسألوا ابنتي ، فهي امرأة الآن ولكنها لا تبدل تذكارات صباها بمال الارض كلها . وهي اكثر استعداداً للكلام مني . » (١

اننا نكتفي بايراد هذه النصوص بلا تعليق ولا شرح لانها جليّة بذاتها . ولولا خوف الاكثار والملل لذكرنا غيرها حيث ترثيه « امرأة من جبيل » قائلة :

« ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز . . .

بلّلن بدموعكن اغطية فراشي الحريرية ، حيث استراح حبيبي مرةً ، ثم ابتعد عني في يقظتي .

استحلفكن يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز .

اسندن صدوركنّ وابكين وعزّينني .

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١٦٤–١٦٥

لان يسوع الناصري قد مات » (١

او حيث تترنم حبيبة « يوناثان » السائرة معه في القارب :

« تأمل يا حبيبي هذه الزهرة الذهبية العائمة بين العلو والعمق كما نسبح (انت وانا) بين المحبة التي كانت منذ الازل وستظل الى منتهى الدهور.

حرّك مجذافك يا حبيبي ، لاضرب على اوتار قيثارتي . لنتبع الصفصاف ولا نهمل زنابق المياه.

في الناصرة شاعر قلبه كقلب عرائس النيل . وقد زار هـذا الشاعر نفس المرأة ، وهو يعرف عطشها المتفجر من المياه ، ويعرف مجاعتها للشمس في حين ان كل شفاهها شبعانة .

...

حرك مجذافك يا حبيبي ، لاضرب على اوتار قيثارتي .
ففي الناصرة شاعر يعرفنا ويحبنا معاً .
حرك مجذافك يا حبيبي ، لاضرب على اوتار قيثارتي . » (٢

والآن نعتقد ان في هذا القدر كفاية لاستخراج النتيجة الحاسمة التي تؤيد رأينا في جبران وقصده من الصاق المحبة النسوية بيسوع ابن الانسان وتصوير اختمارها في قلبه بقدر ما يستطيع من الانجذاب والتدله الـذي يتفق مع ماضي جبران الادبي.

وهو ، وان استحال عليه ان ينسب الى بطل الكتاب صراحة مـا اعترف به عن نفسه في « الاجنحة المتكسرة » او ما علّل به نظريته الاباحية في تعاليم النبي عن اللذة الجسدية ، فانه لا يتأخر عن استبدال شريعة الحياء والعفة المقدسة بشريعة مريضة هي محض الاباحيّة المطمئنة في حقلها الحر .

جاء في انجيل يوحنا ، الفصل الثامن ، في رواية المرأة التي اخذت بالزنى وجاء بها الفريسيون ليجربوا السيد المسيح :

« ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم : من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجر. ثم اكبّ ايضاً يخط على الارض. اما اولئك فلما سمعوا طفقوا يخرجون واحداً فواحداً، وكان الشيوخ اول الخارجين. وبقي يسوع وحده والمرأة قائمة في الوسط . فانتصب يسوع وقال لها : يا امرأة ، اين الذين يشكونك ؟ اما حكم عليك احد ؟ قالت : لا، يارب ! فقال

١) يسوع ابن الانسان ، ص ٢١٢-٢١٣
٢) يسوع ابن الانسان ، ص١٢٦-١٢٧

يسوع: ولا انا احكم عليك. اذهبي ولا تعودي تخطئين »(١

فلنبحث الآن في كتاب جبران عن الشريعة التي قضى يسوع بموجبها في الموضوع نفسه لنرى اية صبغة اتخذ مبدأ الكاتب الحريري قال على لسان « اندراوس »، « في المدنسين »:

« ... فاحاطوا بيسوع وقالوا له: « قد دنست نذر زواجها وأمسكت بالفعل الشنيع. »

فنظر اليها، ووضع يده على جبينها، وتأمل ملياً في عينيها.

ثم التفت بالرجال الذين احضروها اليه، وامعن نظره في وجوههم، وانحنى وشرع يكتب باصبعه على الارض.

فكتب اسم كل رجل، وكتب الى جانب كل اسم الخطيئة التي ارتكبها صاحب الاسم.

وفيما كان مكباً على الكتابة هربوا من حضرته يجرون اذيال عارهم.

وقبل ان فرغ من كتابته لم يبق امامه احد الا نحن والمرأة.

فنظر الى عينيها ثانية وقال لها: « انك قد احببت كثيراً. اما الذين احضروك الى هنا فانهم احبوا قليلاً. ولكنهم جلبوك اليّ كاحبولة لاحتبالي.

فانصرفي الآن بسلام.

لم يبقَ منهم احد ليدينك. فاذا رغبت في ان تكوني حكيمة كما انت محبة، فسالميني، فان ابن الانسان لا يدينك »(٢

عندما سمع يسوع الانجيل اتهام الزانية « انتصب » ولفظ الحكم الصارم على المجرمة فوراً. ولكنه اشترط ان يكون العامل على قمع الجريمة شريفاً طاهر الذيل. واما يسوع جبران فقد فهم التثبت من انَّ امرأة « دنست نذر زواجها وأمسكت بالفعل الشنيع » ولم يأتِ بعمل قضائي بحقها.

يسوع الانجيل « اكبَّ يخطّ على الارض ». ولكن يسوع جبران « نظر اليها ووضع يده على جبينها وتأمل ملياً في عينيها »

يسوع الانجيل نادى المتهمة بلهجة تشعر بالحزم في الدينونة « يا امرأة... » والتثبت في متابعة التعقبات « اما حكم عليك احد؟ » — واما يسوع جبران فتحبّب يخطب مودة المجرمة بتبرير موقفها واطرائها: « انك قد احببتِ كثيراً اما الذين احضروك الى هنا فانهم احبوا قليلاً. »

١) يوحنا ٨: ٧-١٢

٢) يسوع ابن الانسان، ص ١٥٢

وبالنتيجة فتهمة الانجيل يظهر تضرعها وتتراءى توبتها بقولها «لا يا رب» فيغفر لها المسيح على ان لا ترجع الى مثل ذنبها . واما يسوع جبران فلا يحمل من قبل الزوجة المدنسة على امارة تحكي الخضوع والاذعان للتوبة ، او الشعور بانها اتت امراً فرياً . وعليه فهو يطلقها تسرح وتمرح كما ترغب وتشتهي ، دون ما شرط ولا قيد . ويزيدها انفاساً بتحريضه اياها وتطمينها بان لها ان تستسلم الى سلطان الحب وتنفذ ما يأمرها ، به وهو يبرئ ساحتها لانها تعمل بمشيئة القلب .

يسوع الانجيل حكم على الزانية ثم عفا عنها والقى حبل الرحمة على غاربها ، معتمداً على حسن نيتها بعدم الرجوع الى الاجترام . واما يسوع جبران فلم يرَ لزوماً لوضع الحبل في رقبتها لانها مبدئياً حرة وكل ما ترغب به من المحبة فهو «مباح» . وهذا التعاكس بين مبدأ «اذهبي ولا تعودي تخطئين» ومبدأ «انصرفي الآن بسلام . . . واذا رغبتِ في ان تكوني حكيمة كما انت محبة ، فاطلبيني فان ابن الانسان لا يدينك» هو القول الفصل في ان جبران قصد مسخ المذهب المسيحي وطعنه بحراب التشويه في احشائه ، وتزييف مواضيعه بذاتها لابرازها بقالب له من الموضوع اسمه . وبعض تعابيره وبعض النقاط المأثورة عنه . ولكنه مركب باسلوب يعود بالاتجاه العام الى ما هو نقيض المبدأ الاساسي .

بقي علينا ان نقول كلمة في تعليل جبران للعجائب الانجيلية ورأيه الفلسفي شبه اللاهوتي . وهو ما ندرسه قريباً ، ان شاء الله .

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

٣

اذار

أذار او آذار من ادارّو البابلية بمعنى البيدر او الحصاد او الحقل . تدخل فيه الشمس برج الحمل . يقابله من الشهور الافرنجيـة « مارس » المسمى باسم والد رومولوس باني رومية وواضع الاشهر الرومانية ، او باسم المريخ اله الحرب. كان الاقدمون يمثلونه بصورة رجل يلبس جلد ذئبة (رمزاً الى معبودهم الـه الحرب) وحوله تيس من المعزى ، وسنونو ، ومركب ملآن لبناً وعشباً اخضر.

رأى اللبنانيون حالة هذا الشهر الجويّة متقلبة لا تثبت على حال ، فتكون جميلة هادئة في بعض السنين، وردينة مضطربة في غيرها ، فتضاربت فيه اقوالهم. فما قالوه عن رداءتها واضطرابها :

« اذار الهدار فيه الزلازل والامطار ، وفيه سبع ثلجات كبار ما عـدا الصغار . » يريدون بالزلازل الانهيارات الارضية التي يكثر حدوثها في لبنان في هـذا الشهر في السنين الغزيرة الامطار . و« في اذار تمطر في الليل اكثر من النهار . » ربما كان تعليل ذلك ان حرارة شمس الربيع توجد النشوفة في النهار وقلما تؤثر في رطوبة الليل فيخف المطر في الاول ويغزر في الثاني . و « امطار اذار تضيع الراعي عن باب الدار » ، اي تضلّـه عن باب منزلـه لغزارتها. و« في اذار البقرة بتمج وبتنـادي آه على غـبرة من غبرات البيـدر » ،

اي ان سوء الحالة الجوية من مطر وبرد تجعلها تتلهف على ايام تموز مع ما ينالها فيها من تعب في دياسة الحنطة وهي تجرّ النورج . و«خبي فحماتك الكبار لعمك آذار» لان البرد قد يشتدّ بعض السنين في اذار خلافاً لما يُنتظر فيه من جمال الطقس باقبال الربيع،فيحذّر الناس بهذا المثل من استنفاد كل الوقود المعدة للشتاء ويُنصحون باستبقاء جانب كبير منها لاذار لئلا ينالهم اذى فيه في صحتهم وراحتهم . ومعلوم ان برد الربيع هو اشد ضرراً بالصحة واعظم تأثيراً في الجسوم منه في اشهر الشتاء التي تتقدمه .

ومما قالوه عن جمالها وهدوئها : « في إذار بتنتقل الشمس من برج الحوت وبتقول للبرد موت . » هذا في الغالب ولكل قاعدة شواذ و«في اذار بيمشّش الدوري وبتورق الاشجار . » هذا في الساحل وبعض الوسوط . و «في اذار بيشنهق الحمار » ، لظهور المرعى في الربيع . و«في اذار بيصيح حبل القرّ ما بقى على الدنيا شر . » وحبل القرّ صغار الضفادع تنق كل مساء في البرك والمستنقعات ، ونقيقها عندهم دليل على ادبار الشتاء واقبال الربيع . و«في عاشر آذار طيلع بقرك عا لدار » لتحسن الحالة الجوية .

ويرى الفلاحون ان نوم ماشيتهم من اذار فصاعداً في الفلاة معرضة للبرد الربيعي المعتدل انفع لها من نومها في الزرائب الموصدة الابواب،ويقولون في ذلك : « في اذار اذا سبقك جارك على مرعى الربيع اسبقه انت على نوم الصقيع .» على ان الجوّ في هذا الشهر لا يمكن الركون اليه لان الصحو والمطر قد يتعاقبان مراراً في النهار الواحد وقد قالوا :«في اذار بيترنخ الراعي وبينشف بفرد نهار .»

ويزعمون ان هذا التقلب اكثر ما يقع في ٢١ اذار المسمى باصطلاحهم « يوم نقلة الشمس » . ويحسبون الحساب للامطار التي قد تنهمل في هذا النهار فلا يخرجون في اثنائه الى سفر بعيد ولاسيما في الطرق الجبلية ، ولا يترك رعاة الماعز مشاتيهم الى المصايف قبل انقضائه ويسمي اهل الشوف هذا النهار « دنح شاني » وقد تقدم معنى الدنح اما شاني فقرية من الجرد غير بعيدة عن صوفر ويروون ان عجالاً (راعي العجول) في هذه القرية سرّح عجوله ذات يوم الى المرتفعات المجاورة وكان الجوّ صاحياً لكنه لم يلبث ان تعكر واشتد البرد

وانهمرت الامطار حتى اوشك احد العجول ان يموت دنقاً،فطرح الراعي الصوت على القرية فاسرع اليه الاهلون وذبحوا العجل وشرعوا في سلخ جلده، لكن سرعان ما طلعت عليهم شمس فياضة النور،شديدة الحرّ جعلتهم لا يقوون على انجاز عملهم لو لم يلجأوا الى ظل اشجار من السنديان نابتة في تلك الاعالي فقيل في ذلك : « اعجب من دنح شاني دنق العجل من البرد وسلخوه في الفي » وفيه اشارة الى سرعة تقلّب الطقس في هذا الشهر.

وشمس اذار عندهم ليست نافعة على انها ليست ضارة بمقدار ما تضر شمس شباط، لذلك اشتهتها العجوز لبناتها على ما مرّ بك في الكلام عن شباط.

ويعتمدون على آذار في تعديل موازنة المطر فان نقص في الكانونين وشباط غزر في اذار وتعوض النقص . وان زاد في الكانونين وشباط قلّ في اذار أو انحبس فتعدلت الزيادة . ويقولون في ذلك :« السنة بآذارها ان أقبلت اذار وراها وان امحلت اذار وراها »

ويستبشرون برعد اذار معتقدين ان الرعد في هذا الشهر بشير بالمطر في الشهر الذي يليه :« كل رعدة باذار مطرة بنيسان »

واهم ما يشتغلون به من شؤون الزراعة في هذا الشهر بالسواحل زراعة الحمص ويحبّونها لانها معجّلة الغلّة، ويقولون فيها:«الحمص متى اطلّ غلّ » ومعنى ذلك امكان الانتفاع به من حين ظهوره بتقديمه طعاماً للماشية،حتى اذا ظهر حبه اكله الناس اخضر . ويبيعونه في اسواقهم منادين عليه :« ام قليانة خضرا وملانة ! » ويحين في هذا الشهر موعد حراثة الكروم لان الارض « تطيب» اي تصير متأهبة للحرث بسبب الحرارة الربيعية ، فيباشرون ذلك ولو تحت المطر ومن اقوالهم بهذا المعنى :« في اذار حط القبع على رأسك وافلح» والقبع ما يلبسه الفلاح في رأسه لاتقاء المطر . ويقولون ايضاً :« في عيد الاربعين شاهد جاهد على كرمك جاهد » وهذا العيد للاربعين شهيداً يقع في ٩ اذار ومنه يبتدأ بشذب الكرم « تشحيله » وحراثته ويقولون :« الكرم اذا ما انفلح باذار بار »

وفي عيد الاربعين شهيداً يأكل فلاحو اللبنانيين « كبة الحيلة » وهي من السميذ يلتّ بالدقيق ويجبل بمسلوق اليقطين او البطاطا ثم يقطع كتلاً تجوف

وتصقل وتحشى بالقورما والبصل المحمر والكشك او اللبنـة وتطبخ كبباً او تقلى اقراصاً . ومن تقاليدهم جعل هذه الكبب والاقراص اربعينات على عدد الشهداء . وقد عرفت عجوزاً في احدى قرى الشوف عنّ لها في مساء هذا العيد ان تكرم الشهداء بأكل اربعين كبة بحساب واحدة لكل منهم فلم يمر عليها ساعتان حتى اصابتها تخمة اخمدت انفاسها فذهبت ضحية جهلها ونهمها.

وعيد الاربعين شهيداً هو عندهم آخر مرحلة من مراحل الشتاء. ويقولون فيه :« بتظل الدنيا تجاهد لعيد الاربعين شاهد » اي ان الطبيعة تظل هائجة ثائرة حتى حاوله ومن بعده تخف وطأة البرد والمطر واذا حصل ثلج كان سريع الذوبان بمفعول سخونة الربيع . امـا معمان الشتاء فهو عندهم عيد القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبـان الواقع في ١٧ كانون الثاني ويسمونه « اشد الشدّ » اي ان الامطار والبرد والبروق والرعود والصواعق تكون فيه في اعلى درجة يمكن البلوغ اليها من القوة والشدة.

اما مواليد الماشية في هذا الشهر فافضلها عندهم الجحاش. لذلك يقولون « لا تقتني الا جحش اذار . »

وفي اذار يشرعون بتربية دود القزّ :« في عيد البشارة بزركم يا بزارة » اي قدموه الى المدخن :« والقز شيلة من آذار شيلة من نيسان » اي قسم منها ينقف في اذار وقسم آخر في نيسان،وهذا في الساحل،اما مواسم الجبل فتتأخر عن مواسم الساحل نحوًا من شهر قياساً مطردًا.

ويعتقدون ان صفاء الجو يوم عيد البشارة بشير بالاقبـال في موسم الحرير وان تلبده بالغيوم نذير بالامحال بدليل قولهم :« يوم عيـد البشارة اذا كان في السما غيمة دور الكارة ما بيطلع من القز ولا شكارة » ومنهم من يقول : « ولا اشارة » ومعنى اشارة في اصطلاحهم : الشيء القليل . والكارة دائرة من قماش يستعان بها في صنع الخبز اللبناني المعروف «بالمرقوق او المراشيح» . والشكارة القليل من الفيالج (الشرانق) .

وفي عيد البشارة يكشف الاحداث بختهم بتقليب الحصى باحثين تحت كل حصاة عن شعرة فاذا وجدوها نظروا في لونها فان كانت بيضاء تفاءلوا بها واستبشروا

في مستقبلهم خيراً وان كانت سوداء تشاءموا وخافوا ان ينالهم فيه مكروه.

وفي هذا الشهر تنمو الزروع وتصير على اهبة الاسبال ويقولون في ذلك: « اذار حبل ونيسان سبل » وهذا في الساحل اما في الجبل فيقولون: « نيسان حبل ونوار سبل ».

وفي اذار « يقع زمن الاعتدال الربيعي » وتقول العامة في ذلك: « في ٢١ اذار يتساوى الليل والنهار » وبعد ذلك ياخذ النهار بالطول والليل بالقصر، الى زمن الاعتدال الخريفي.

و ٢١ اذار هو آخر فصل الشتاء واول فصل الربيع. ومن عادتهم قسمة فصل الشتاء المؤلف من ثلاثة اشهر او تسعين يوماً والواقع بين ٢١ كانون الاول و ٢١ اذار قسمين: اولهما ينتهي في عيد دخول المسيح الى الهيكل الواقع في ٢ شباط ويسمونه « الاربعينية » لانه مؤلف من اربعين يوماً، وثانيه وهو المنتهي في ٢١ اذار يسمونه « الخمسينية » لانه مؤلف من خمسين يوماً، ولهم قاعدة يستدلون بها مقدماً على حالة الطقس في القسمين، اي « الاربعينية والخمسينية » وذلك انهم يرصدون مغيب الثريا ليلة عيد البربارة الواقع في ٤ كانون الاول، فاذا غابت في صحو وجو رائق قالوا ان « الاربعينية » ستكون ناشفة اي قليلة المطر والخمسينية رطبة اي كثيرته، والعكس بالعكس اي اذا غابت الثريا في يوم ممطر وجو متجهم قالوا ان الاربعينية ستكون رطبة اي كثيرة المطر والخمسينية ناشفة اي قليل مطرها.

وفي هذا الشهر يكون الفلاح في الغالب قد جاء على ما عنده من غلة مدخرة فيحتاج الى المؤونة، فتسوء اخلاقه، ولاسيما اذا كانت الحنطة قد ارتفعت اثمانها كما يحدث عادة. ولعل ذلك هو خير تفسير القول الذي يرددونه وهو: « في اذار بتغلا المونة وبيكتر النقار »

وتتحسن الصحة في هذا الشهر لتقلص ظل البرد وظهور الربيع وخروج الناس الى البرية يتنشقون النسيم العليل، ويشربون الماء الزلال، لذلك يقولون: « سأل نيسان اذار وهو راحل يا اخي اذار كيف فارقتهم؟ اجاب اذار وهو يبسم: فارقتهم حمر موردين (بلون الورد) وعلى النهورة (الانهار) واردين »

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٣

الفقه وتطبيقه العصري

قدّمنا ان الفقه يُعتبر صادرًا عن الوحي القرآني . ولذلك قلنا انه متّصف بالجمود ، بعيد عن المرونة وقابلية التنوّع . اذ ليس للانسان ان يحوّر مقرّرات الوحي . على ان من يراقب الحياة الاسلامية يشعر بنزاع شديد ، وان ضمنيًّا ، بين مبدأ عدم التحوّل هذا وما تجرّه حوادث تلك الحياة في بيئات اوفر مدنيّة واوسع مرافق من بيئة العرب على عهد النبي ، وهي البيئة التي سنّ لها محمد شرائعه . فضلًا عن ان تلك الصفة الجمودية حالت دائمًا بين المبدأ الفقهي وتطبيقه التطبيق الكامل المطلق ، الا في ما خصّ موادّ قليلة يذكرها القرآن صريحًا او تتعلّق ببعض احكامه كحوادث الاحوال الشخصية ، والاوقاف ، وما الى ذلك . وكان من نتيجة ذلك النزاع انه حتى في البلاد الخاضعة للسلطات الاسلامية كالقطر المصري اليوم ، والامبراطورية العثمانية سابقًا ، كانت الحكومات لا تتأخر عن سنّ شرائع مدنية مستقلة عن الفقه تصدرها بصورة « قوانين » او « مجلة » الخ . . . فكانت تترك للفقهاء ان يقرّروا دوام التشريع القرآني ، وتتدخل عندما تشعر بان تطبيقه قد يجحف بالنظام الاجتماعي . وهكذا حتى اصبح الفقه علمًا نظريًا يتعلّق بموضوع بعيد التطبيق ، يرتقي الى حقّ يؤلّف مثالًا اعلى للحقوق ، ويستند الى تنظيم « كلاميّ » محض خرج عن الاحوال الحاضرة منذ اقفال باب «الاجتهاد» ، فاصبح بعيدًا عن مقتضيات الحياة المعاصرة

الا في بعض حوادث جزئية يطبق فيها عن طريق « العادة » « والاستحسان » اما في ما خص الحق التجاري فان العادة ظلت متابعة سيرها دون ان تهتم بمقررات الفقه وتحفظاته.

وان من العجيب ان دارس احوال الفقه الحاضر لا يزال يرى الفقهاء ينصرفون — بجد ورزانة لا ينقصان في شيء عن جد الماوردي ورزانته اذ كان يبني النظريات في اوائل القرن الحادي عشر في السلطة الاسلامية وصفاتها — الى درس دولة اسلامية مطلقة لم يبق لها من وجود في ايامنا. فيدققون في وصف مؤسساتها، ويعيّنون كيفية سير نظمها وترتيباتها، ويرسمون خطة ادارتها، ويسنّون طريقة توزيع الواردات الوهمية لهذه الدولة الخيالية. وهم يسيرون في ذلك من مبدأ خلافة عالمية تخضع المسكونة كلها للشريعة الاسلامية؛ ويفرضون اقرار العبودية، وما يجره هذا المبدأ من امكانية التعويض والتكفير عن اهمال الواجبات. فيدرسون كيفيات الاعتاق، وتمكن العبيد من الوصول الى اعلى مراتب الجماعة الاسلامية. ثم يقرّرون القواعد الاساسية للحقوق الدولية، وحق الحرب، وما يجب فرضه من الاهانات ومظاهر الصغار والاذلال على الذميين. ومن ثم يندفعون في وصف هيئة ثيابهم والوانها، وانواع التحريمات الواجب عليهم اتباعها كركوب الخيل وحمل السلاح واداء ضرائب خاصة. وفي ما عدا ذلك فهم يسمحون لهم بالقيام بشعائر دينهم « بكل حرية ».

ثم ان فكرة الفقه في ما خص الحقوق التجارية والاتفاقات المدنية تصطدم بنظام الاعتماد المالي والعلاقات الاقتصادية بين الشعوب العصرية. فانه لا يزال يحرّم طرق الضمان والتأمين معتبراً اياها من نوع القمار او لعب الميسر.

وكذلك لا يزال الفقه يشرح حقاً جنائياً لا يحيد عمّا احتفظ به القرآن (٢ : ١٧٥) من مبدأ « القصاص » البدوي القديم الذي يخوّل الموتور حق الانتقام بنفسه، تاركاً لولي الحق او لاهله الخيار بين العفو وقبول الدية. حتى اذا رضوا لم يعد للحكومة من حق بمعاقبة المذنب. وان ما يفتح الباب لتدخيل الحكومة هو حق الموتور في ان يسهّل له ارباب الحكم قصاص واتره. على ان الحكومة ترى نفسها، في كثير من الحوادث، مدفوعة الى

الوقوف عند « حدود الله » اي عند العقوبات المذكورة في القرآن.

هـذا ، فضلاً عن ان الفِرَق المنشقة لهـا فقهها الخاصّ في ما يتعلّق بالسنة والتفسير.

الاجماع

نسب الى النبي قول مفاده : « ان جماعته لا تتفق على ضلال ». وهو معنى ما يُعرف « بعصمة الامة » اي تلك الخاصة المترفّعة عن الخطأ الناتجة عن نوع من الالهام المشترك قد يُعادل ما يُعرف بـ « صوت الشعب من صوت الله . » وقد نسب ايضاً الى النبي القول : « اختلاف الآراء رحمةٌ من الله » ومعناه ان اختلاف العلماء في التفسير رحمـةٌ للمؤمنين اذ تولي ضمائرهم سعةً وراحةً في اختيارهم بين المقرّرات المتنوّعة. فاذا جمعنا بين القولين وقفنا على الغاية منها وهي شرح تنوّع المذاهب السنية ، واقرار شرعية « الاجماع ».

اما اوّل من فكّر « بالإجماع » ووضع له الصيغة الاولى فكان مالك بن أنس ، على ما يظهر . وهو مؤسس المذهب المدني المستند الى العادة الجارية في المدينة الراقية ، على زعمه ، الى النبي نفسه. وهذه العادة كانت تمثل الإجماع في عرفه ، وقد شاءها سلاحاً يحارب به ابا حنيفة متهماً اياه بالانحراف عن السنّة الحقيقية.

ثم اتى الامـام الشافعي فتوسّع في نظريـة الامـام مالك ورتّبها نوعاً ، وجعلها قادرةً على اصدار القرار الحاسم في احوال جديدة لم يكن لها من حلّ في اصول الفقه الثلاثة الاولى وهي القرآن والسنة والقياس . ومن ثمّ لم يلبث الإجماع ان تجاوز الحدود الضيّقة التي ارادها له الامام مالك . فاعتبر الفقهاء ان من حقّ الإجماع ان يقرّر ما يستخرج من الاحكام بواسطة القيـاس . ثم طاق القرار نفسه على السنّة فوجب على مقرّراتها ان تخضع لاجماع المؤمنين . ولكن بقي عليهم تحديد هـذا « الاجمـاع » ، وتحقّق وجوده ، ومَن يكون شهوده ؟ ومَن يقوم شرعاً بالتعبير عنه ؟

لا يخفى ان ليس في الاسلام من نظام ديني ذي تدرّج واصل الى رتبـة

عليا تفرض الاحكام الحاسمة ، كما هو الحال عند المسيحيين . ولهذا كان من الصعب ان يتفق المسلمون الاتفاق التام على حقيقة الاجماع ، وعلى الذين يعبرون عنه .

لقد فكروا اولاً بالصحابة وبالتابعين . وحجتهم في ذلك ان الصحابة تلقوا التعليم عن الرسول مباشرةً ، وعاشوا كلهم في تلك الحقبة التي ارادوا ان يعتبروها عصر الاسلام الذهبي . وهو رأي الامام مالك المدافع عن السُنّة المدنية . وقد مال اليه واقره كثير من الحنابلة ومن الوهّابية في ما بعد . اما الظاهرية فلا يقبلون الا اجماع الصحابة . على ان الحاجة اضطرّت الفقهاء الى توسيع هذه الحلقات الضيّقة ، واعطاء « الاجماع » تحديداً اوسع ، والا اصبح عسيراً حلّ الكثير من المشاكل الجديدة .

وقد نسب الى النبي قوله ان « العلماء ورثة الانبياء » . فاليهم تعود اذاً مهمة « الحلّ والعقد » . أوَ ليس الراسخون في العلم وحدهم يعلمون تأويل الكتاب ؟ (القرآن ٣ : ٥) وعليه فقد حُدّد الاجماع بانه اتفاق العلماء والمجتهدين في عصر من العصور . على ان هذا الاتفاق لا يتجاوز حدّ التأويل . فللعلماء والمجتهدين ان يشرحوا ويؤوّلوا ما اشكل ، ولكن ليس لهم ان يشترعوا ويسنّوا القوانين . وان ما يقوم به جيل من العلماء من الشرح والتعليم يعتبره الجيل التالي من مظاهر الاجماع . وهو ما يُعرف «باجماع المجتهدين» سواء أوافق المعاصرون على هذا الاجماع بالقول ام بالفعل ، ام بالسكوت والتقرير . وميزة هذا الاجماع في عيون الائمة ان ينقل تعليم « السلف الصالح » دون ان يمسّه بشيء ، وان يظلّ ، مع ذلك ، مرناً ليّناً حتى يوافق احتياجات الايام المقبلة .

وليس من حاجة في اقرار الاجماع الى الاستفتاء العام . ولا يخفى ان النظام الاسلامي لا يسهّل هذا الاستفتاء . فيكفي عند الضرورة أن قرار بعض العلماء في موضوع ما يصادف موافقة زملائهم ، وإن موافقة صامتة ، اي يكفي انه لا يصادف احتجاجاً من قبل غير المقرّرين من العلماء . اما الجماهير فليس لها ان تتدخل في هذه الشؤون . بل عليها ان تتبع سبيل المؤمنين ، « ومن يتّبع غيرَ سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً » (القرآن ٤ : ١١٥) وان

اصحاب البدع الحقيقية في الاسلام ، او المراطقة ، هم الذين يرفضون اعتبار الاجماع . ولهذا يدعو السنيون انفسهم لا « اهل السنة » فحسب ، بل « اهل الجماعة » ايضاً .

واذا فهمنا الاجماع على هذه الصورة من المرونة واللين نرى غايته ان يقوم في الدين الاسلامي مقام تعليم الكنيسة المعصومة في الدين المسيحي ، فيضمن ، ضمن نطاق واسع ، اتفاق الجامعة الاسلامية على العقائد الدينية . وهو يتساهل بتطوّر الشريعة نوعاً ما تطوّراً تفرضه الاحوال ولا يمكن الاجماع ان يقف في وجهه . على ان الاجماع يتدخل في ذاك التطور ليمنع التطرّفات وسوء الاستعمال التي قد تجرّها جرية لا حدود لها . وتنتج مقررات الاجماع عادةً من الخلاف والشقاق بين النظريات المتعاكسة حتى التطرّف ، ومن المعارك الدموية بعض الاحيان التي كثيراً ما سبّبها واطال مدتها تعصب الحنابلة . على ان هذه المقرّرات لا تلاقي اتفاقاً عاماً حتى داخل المذهب الواحد . ولكن الاختلافات الثنوية لا تمسّ ما يمكن ان نسميه ، بكل احتياط وتحفّظ ، كاثوليكية النظام الاسلامي . فان « الاجماع » يتخذ لحسابه كل هذه الحلول المختلفة ، ويضمن لها جميعها ميزة العصمة .

هذا وبفضل الاجماع قبل المسلمون النصّ القرآني العامي بقراءاته السبع المعروفة . وكذلك بفضل الاجماع قبلوا تفسيره المقرّر . واذا كان الاسلام يقرّ رسمياً كتب الحديث الستة البخاري ومسلم والترمذي ... التي تستند اليها المذاهب الاربعة ، فان الفضل في ذلك يعود الى الاجماع اكثر منه الى حسن اسلوب المؤلفين او تأثير شخصياتهم . واذا كانت تلك الحركة الروحانية الاخلاقية المعروفة بالصوفية السنية قد نالت ، وان متأخرة ، الاقرار الرسمي ، فان الفضل للاجماع ايضاً . على اننا لا ننكر ان الصوفية مدينة ايضاً في نجاحها ، على رغم مقاومة الحنابلة ، الى شخصية الامام الغزالي ، تلميذ المذهب الاشعري ، الذي اصبح بالحقيقة « محيي الدين » بمقاومته ما كانت تجرّه من المساوئ تطرّفات النظريات الفلسفية والفقهية . وان من ميزة الاجماع ان يترك الباب مفتوحاً لدخول كثير من الآراء الجديدة في الدين . فيحاربها الائمة اولاً بدعاً خطرة . ثم تسكن

الحركة شيئاً فشيئاً ويتضاءل الخلاف حتى ان المذاهب السنية تقبل بعض تلك «البدع» بتحفظ شديد اولاً ثم لا يلبث الاجماع ان يقرّها بدعاً حسنة، او يكتفي بغضّ النظر عن سيرها.

من هذه البدع او التجديدات كل الاعياد المؤسسة لتكريم النبي كعيد المولد وغيره، والاعتقاد بعجائبه وكراماته وعصمته وهو اعتقاد لا يقرّه القرآن. ومنها الاعتقاد بقداسة الاولياء وشفاعتهم، ولم يكن الاسلام في اول امره يقرّ بالقداسة الا للانبياء وحدهم. ومن ذلك ايضاً تكريم القبور وما يجر اليه من طرق العبادة ... وكل هذه البدع تظلّ مبدئياً معاكسة لروح التوحيد القرآني الذي لا يقبل من شفيع ولا من وسيط بين الله والمؤمنين. على ان الاجماع اقرّها، على الرغم من معارضة الحنابلة، مستنداً في ذلك الى موافقة الاسلام العالمي في عاداته واعماله، والى سكوت الائمة عن تلك العادات الشعبية. وكذلك اقرّ الاجماع شرعية لقب الخلافة المعطى لسلاطين آل عثمان، على كونهم لا ينتمون الى بني قريش، والقرشية كانت في ما سلف شرطاً اساسياً للخلافة تبعاً لقرار الاجماع نفسه. وكذلك دُفع الاجماع الى تحليل استعمال التبغ والقهوة، والى السماح بطبع القرآن على الحجر. على ان طبعه بالحروف لا يزال يعرّض ضمائر المغالين الى الشكوك والوساوس. ولا نزانا مبالغين اذا قلنا ان الاجماع لا يلبث ان يقرّ شرعية استعمال الرسم والتصوير للكائنات الحية وربما يصل الى الاقرار بشرعية الفونغراف وما شاكله من الاكتشافات الحديثة ...

ومن صفات الاجماع انه ظاهرة غريزية تبدو دون سابق روية وتعمّل، مدفوعة بالحاجة الى الوفاق والتوازن بين العقيدة والاحوال. بل هو مظهر لما يمكن تسميته بالغريزة الدينية في الشعب المؤمن. وقد رأينا كيف ان الاسلام، بعد الكثير من الاضطرابات والتجربات والمحاولات، توصّل الى الموافقة على مدلول «الاجماع» المرن الذي تظهر فائدته الجزيلة بعد ان اقفل «باب الاجتهاد» دون ان يجرّ ذلك الى المناظرات العقيمة.

وقد خال بعض علماء الاسلاميات من الغربيين ان هذه المرونة تكفي لتطبيق الشريعة على حاجات العصر، فتدخل فيها كل التجديدات الضرورية،

فزعموا « ان مـا اقرّه اجماع مـا يمكن ان يغيّره اجماع آخر . » وعلى هـذا النحو يقيس « العصريون » من المسلمين نظرياتهم في تجديـد الفقه الذي يرونه اصبح قديماً قاصراً عن حاجات العصر . ولو كان قدمـاء الائمة من الـذين عملوا على اقرار نظرية الاجمـاع قد سمعوا هـذه المزاعم لاستنكروهـا اشدّ الاستنكار . فان الاتفـاق على العقائـد لا يولّد شيئاً . والاجمـاع لا يُخلَق ولا يُرتّب دَفعةً واحدة . ولا يمكن للعلماء الا ان يتحققوا وجوده . وهو ينظر الى الوراء - لا - الى الامام ، ويهتم لا بالمستقبل بل بالماضي - فاذا لجـأ اليه الائمة فانما يلجأون لتبرير بعض البدع او لتحليل بعض العادات التي دخلت الجماعة وفرضت نفسها مع الوقت ، فيجتهدون باقرارها ونسبتها الى سنة السلف الصالح ، اي الى شريعة ثابتة وطيدة مستمرّة حتى لا يجوز الشكّ في دوامهـا التقليدي .

وعليه فاننا نرى من التطرّف والتهوّر ان يُنظر الى الاجمـاع كالى آلـة يتمكن العصريون بواسطتها من ادخال الاصلاحات في الشريعة ، فيجعلونها موافقة لحاجات العصر التي تتحوّل وتتغيّر يوماً فيوماً .

(له صلة)



طاغية القرية

بقلم يوسف غصوب

المشهد الرابع

مريم . ليلى . المهاجر

المهاجر مساء الخير.

ليلى اسعد الله مساءك . تفضّل.

المهاجر (يخاطب مريم) ليلة سعيدة ، يا عمتي . اهنا بيت ابي شهيد ؟

مريم نعم ، يا ولدي ، ادخل . ماذا تريد منه ؟

المهاجر (على حدة) لم تعرفني (يخاطب مريم وليلى) لا شيء.. انا حامل اليكم تحية من وراء البحار.

ليلى من وراء البحار !

المهاجر نعم . قد وصلت هذا المساء الى بيروت ، قادماً من المكسيك.

مريم تفضل ، يا ولدي ، اجلس . قد تكون تعباً . كاس من الماء ، يا ليلى (تتفرس به)

المهاجر (بعد ان جلس وادار لحاظه في البيت كانه يستأنس باشياء يعرفها) عرفت هناك في تلك البلاد الشاسعة شاباً يدعى شهيداً.

مريم شهيد ولدي !

ليلى اخي !

المهاجر لا غروَ انه اخوك ايتها الفتاة اللطيفة . فان فيك بعض الشيء من تلاميحه.

ليلى انت صديقه ! . . . بربك خبّرنا عنه . . .

المهاجر هو في الصحة التامة . اشغاله جيدة ، واسمه كالمسك . وقد كلفني ان امرّ بكم عند رجوعي الى الوطن واحمل لكم تحيّة.

مريم ولدي شهيد . . .

المهاجر ثم قال لي : اذا وصلت الى بيروت ، فلا تنم هناك . بل اسرع حالاً الى الجبل . وعند صعودك الى قريتك تمرّ في طريقك على قريتي . ففي اول القرية ، على يدك الشمال ، قريباً من غابة الصنوبر ، بيت خليل الهاشم . فادخله تجد امي فتقبلها عني وتقبلك ، ثم تقبل يدها ، وتقول لها : ابنك شهيد لم ينسك ، ولن ينساك . ثم تجد بالقرب منها شقيقة لي ، ولا غرو ان تكون قد اصبحت اليوم صبيةً كبيرة ، فسلم عليها كثيراً . ثم قبلني وقال : هذه امانة مني فردها لمن اوصيت .

(يقبل يد مريم وينظر الى ليلى)

ليلى (على حدة) ما الطف هذا الفتى وما اقربه الى القلب !

المهاجر وانتِ ، يا ليلى – اظن ان اسمك ليلى فقد قال لي ذلك شهيد – فان ذكرك لا يزال في قلبه وعلى لسانه ، فليلى في جميع احاديثه ، وليلى محور افكاره .

ليلى اشكرك يا سيدي . . . مالك تحوّل وجهك عنا . بالله عليك خبرنا عن شهيد . فانه قد ظلمنا بهجره ، وظلمنا بسكوته . هل هو بصحة جيدة ؟ ألا ينوي العودة الينا ؟

المهاجر شهيد اخوك ملك صغير في تلك البلاد ، له اراض واسعة لا تحد ومزارع كثيرة اصغرها كهذه القرية . وله تجارة عظيمة . وهو فضلاً عن ذلك زينة المجالس ، مضرب المثل باللطف واللياقة .

ليلى نعم ! نعم ! حدثنا عنه . . .

المهاجر هو فتى ولا كالفتيان ، مشرق الوجه ، طويل القامة ، يطفح جبينه ذكاء . ضحوك ، لعوب . انما في ضحكه شيء من الحرقة والمرارة ، وفي صوته حنين دائم الى لبنان .

مريم هل انت صديقه ؟ هل تعرفه من امد بعيد ؟ قل لنا كيف يعيش ؟ كيف يشتغل ؟ بمن يفكر ؟ بماذا يهدس ؟ . . . نحن نسألك كل هذه الاسئلة وقد تكون تعباً جائعاً ، فنرجو منك يا سيدي المعذرة . . . الا تأخذ نصيباً من الراحة !

ليلى الامل ان تبيت عندنا الليلة فتحدثنا عن شهيد طويلاً.

المهاجر اشكرك ، يا أختي.

ليلى قد اظلم الليل، وانت تعبان. تنام عندنا الليلة ، وتذهب غداً في الصباح.

المهاجر لا بدّ لي من ذلك؟ اذن انام عندكم الليلة !

ليلى لله ما الطفك! قل لي اكان سفرك سعيداً سهلاً!

المهاجر نعم . قليل من الدوخة في البحر . ولكن السرور بالعودة كان اشدّ من كل دوخة ، فلم افكر بها . كنت كل مدة السفر على ظهر الباخرة انظر في الافق البعيد الى لبنان . ولما اطلت الباخرة على الجبل ، وقفت وفتحت صدري وتنشقت ملءَ رئتي نسيمه العليل ، وسال الدمع من عيني . ان هذه الجبال الجرداء لها في القلب محلّ لا يملأ فراغه شيء في العالم . هو فكر كل مهاجر ، وقبلة كل غريب ، ننام في المهجر فنراه في احلامنا ، وننهض ونحن نردد في كل احاديثنا: متى نعود الى لبنان ؟

ليلى متى يعود اخي . . . (كأنها تقول ذلك لنفسها)

المهاجر ولما دخلت الباخرة المرفأ ، ونزلنا الى الرصيف ، كان اول فكر خطر لي هو المجيء اليكم لتأدية اماناتي . فركبت عربة واتيت. . . . وعندما ارتفعت العربة في الجبل ، واخذ الحوذي يغني ، وجلاجل الخيل ترنّ في اذني نسيت كل تعب ، وكل سفر ، ونسيت بلاد العالم ، وقلت انا في لبنان ، انا في وطني ، واخذت انظر الى الاشيا. لاتعرّف اليها . فكان بعضها جديداً لم تره عيني من قبل ، وكان بعضها الِف صباي . فنزلت من العربة وقلت للحوذي اذهب . واتيت مشياً على قدمي ، فكنت اقف هنا ، واتأمل هناك ، وكانت نفسي تنتعش وصدري يتسع . وكان يمرّ بي اناس عرفتهم في صباي ، فكانوا ينظرون اليّ ولا يعرفونني ويقولون في نفوسهم : من هذا الغريب ؟ وكنت اعرفهم ، واضحك في سري ، واهم ان اهجم عليهم فاعرفهم بنفسي . . . وقد عرفت بعض الاشجار فكنت اقبلها في الخفية ،

واحدثها، واسألها عمّا جرى في غيابي . . . وطالت طريقي حتى غابت الشمس، وطلع القمر، فجلست على صخرة في الطريق، ونسيت نفسي هناك . ولما رجع اليَّ روعي اتيت توًّا اليكم .

مريم اهلًا بك، يا ولدي، فان ريح ولدي فيك . انت قريب العهد برؤيته؟ انظر اليَّ علني اراه في ناظريك !

المهاجر (يجول : اره) بربك، يا عمتي، هدّئي روعك . واتركيني اتنفس فقد تعبت من صعود هذه الطريق الوعرة

مريم اجلس بحياتي عليك ! اجلس . كم انا طائشة ! خذ راحتك، يا ولدي

المهاجر اشكرك يا عمتاه ! (يجول وجهه ويمسح عينيه بمنديل)

مريم ماذا ! اتبكي !

المهاجر لا . لا . لا اعلم ماذا دخل في عيني !

ليلى دعني ارى فقد تكون قشة (تحاول نزع القذى بمنديلها)

المهاجر لا حاجة لذلك . . . قد انتهى الامر (يحاول الضحك) الحمد لله ! قد راقت عيني . تبًّا لهذه القشّة فانها قد أسالت دمعي . . .

ليلى الحمد لله !

المهاجر اجلسا نتحدث فلديَّ اخبار كثيرة اقصّها عليكما .
(يدخل ابو شهيد ويبقى واقفًا وراءهم وهم لا يرونه)

المشهد الخامس

مريم . ليلى . المهاجر . ابو شهيد

ليلى نعم ! نعم ! خبرنا عن شهيد .

المهاجر قلت لك، يا اخية، انه في خير وعافية، ولا ينقصه الا « رؤية وجهكم »، كما يكتبون في الرسائل .

مريم وانت، قل لنا من انت .

المهاجر انا الرسول . انا صاحب شهيد . انا رفيقه .

مريم وهل توفقت في سفرك؟ هل جمعت شيئًا من المال .

المهاجر الحمد لله شيئاً كافياً . ولكن اين ثروتي من ثروة شهيد ؟ فانه في غنى فاحش . المال عنده قناطير مقنطرة . ما انا بالنسبة اليه ؟ لا شيء . ومع هذا فقد احضرت معي لتمضية هذا الصيف في لبنان مالاً كثيراً (يرجم محفظته) انظرا هذه اوراق مالية لا تقلّ قيمتها عن الالفين ذهباً . (ينظر ابو شهيد من ورائهم الى المال)

ابوشهيد (يؤح ليستلفت نظرهم ثم يقول) مساء الخير ، ايها الشاب

المهاجر (بصوت جاف) اسعد الله مساءك .

ابوشهيد لا شك انك من المهاجرين ؟

المهاجر نعم ، سيدي . ولا غروَ انك ابو شهيد

ابوشهيد ابو شهيد ؟ نعم انا هو . وانت ؟

المهاجر انا ؟

ليلى هذا صديق شهيد ، يا ابي ، هو قادم الينا من قبله .

ابوشهيد انت صديق شهيد ؟ طيِّب ! طيِّب ! . . . كيف . . . الا يزال طائشاً . مبذراً . . . في اية حالة هو ؟ . . . لا شك انه في فقر مدقع . وقد يكون ارسلك راجياً ان تتوسط له للعودة الى هنا ، او لارسال بعض المال ! هذا لا يكون . هذا لا يكون ابداً . ليعلم ان لا صلة بيننا . لا هو ابني ، ولا انا ابوه !

المهاجر طمّن بالك ، يا سيدي . فما هو بحاجة لشيء . هو غني جداً جداً وفي بحبوحة من العيش . . .

ابوشهيد انا في ريب مما تقول . . . انا أعرف منك بولدي . شهيد عدوّ المال فكيف يجمعه ؟

المهاجر قد صدقت ! هو ، كما تقول ، عدوّ المال . فالمال لا قيمة له عنده . ولكن لا يمنعه ذلك من ان يكون نشيطاً فطناً ذكياً ، وان يجمع مالاً كثيراً ، وان ينفق كثيراً .

ابوشهيد كفى ! كفى ! نحن نعرف ما تقول . هل يتفق الغنى والتبذير ؟ هل يجتمع الماء والنار في اناء واحد ؟ دع عنك هذا . واما انت فيسرني

ان اراك ممسكاً قابضاً يدك .

المهاجر لا . لا . لا تنخدع . انا مثل شهيد ، لست ممسكاً .

ابوشهيد لا حياء في ذلك ، ايها الفتى ، فانا احب البخلاء . المال زينة الرجال . هو سلّم الى كل منزلة عالية ، «هو عصب الحرب » ، لا ادري من قال هذه الجملة ولكنها تعبر بوضوح عن قوة المال .

المهاجر المال زينة الرجال ، ولكن الكرم زينة النفوس .

ابوشهيد أه ! أه ! الاغنياء نفوسهم دائماً مزينة .

المهاجر هم يحسبونها كذلك . ولكن الشعب لا يراها كما تقول

ابوشهيد الشعب يخاف ، ولا يرى ، واذا رأى فانه يرى القوة والبطش يحيطان بالاغنياء ، يرى الحكومة تزدحم على باب الاغنياء ، يرى كل شيء في يد الاغنياء ، يرى العدالة في جانبهم ، فهذه المظاهر هي زينة الاغنياء ، وهي جديرة بان تحمل الناس على البخل حتى يكون لهم مثل هذه المنزلة . ليبغضنا الشعب ما شاء فلسنا في حاجة الى محبته ، بل في حاجة الى طاعته ، وهو ابداً طائع . . .

المهاجر ولكنه قد يملّ الطاعة .

ابوشهيد أه . أه . ارى انك عشت في بلاد اجنبية ، في بلاد الخطب الرائعة والالفاظ الفارغة : حرية . استقلال . استبداد الخ . انتم معاشر المهاجرين تأتوننا كل يوم ببدعة جديدة . . . انك لا بد ان تكلمني عن الاشتراكية . ولكن اعلم ، يا صاح ، ان هذه البذور لا تنبت هنا فالارض صلدة قاسية .

المهاجر لا اكلمك عن الاشتراكية . ولكن اقول لك ان للفقراء نفوساً ، وقد تضجر هذه النفوس من الطاعة العمياء . ان الرجل اذا جاع توحّش .

ابوشهيد انت في وهم ، في وهم مظلم ، ان الرجل اذا جاع مات . فان الجوع لا يساعد على البطش ، ان الجوع اول الموت .

المهاجر ولكن الا يخاف الغني خمرة الغنى فانها تسكر . إنها تفقد العقل ، وقد تحمل على الافراط في كل شيء . وقد يتدهور الغني في طلبه الزيادة .

ابوشهيد كن مطمئناً . فالمال درع متينة لا ينفذ فيها شيء. حتى ان الكوارث تقف دونها ولا تنفذ اليها.

المهاجر ولكنها لا ترد لعنة الفقير المظلوم...

مريم ما لنا وهذا الحديث يا خليل!

ابوشهيد طيب . طيب . لا بد لك ان تتدخلي في كل شيء.

مريم الا تزال في عراك من اجل المال!

ابوشهيد (للمهاجر) الحق يقال ان للعشرة قوة عظيمة . فان شهيداً قد أثر فيك حتى اصبحت افكارك كافكاره.

المهاجر هذا ما افتخر به.

مريم انه باقٍ عندنا الليلة . فغداً تتحدثان ملياً عن جميع هذه المسائل.

ابوشهيد انت تنام هنا الليلة!

المهاجر اذا شاء سيدي ... والا فالطريق امامي ، والليل مقمر.

مريم الا تأكل شيئاً قبل النوم.

المهاجر لا ، يا عمتاه ، فلست بحاجة الى شيء . اشكرك شكراً جزيلاً.

مريم اذن تعال ادلك على غرفتك ، غرفة شهيد . (تدله على الغرفة التي في صدر المسرح)

المهاجر اشكرك ، عمتي.

ليلى قد اتعبناك هذا المساء بسؤالاتنا . فنم هنيئاً وغداً نعيد عليك الكرة.

المهاجر تكرمي ، ايتها الفتاة اللطيفة ، انا طوعك ، فاسألي ما شئت.

مريم اننا نتركك الآن تنام ، استريح . البيت بيتك ، تصرف به كما تشاء.

المهاجر اشكر لطفك.

مريم وليلى الى الغد! الى الغد!

المهاجر الى الغد!

ابوشهيد نم مطمئناً . (يدخل الى الغرفة التي في الجانب الايسر من الدار)
(يخرجون جميعاً الا المهاجر) .

(لها صلة)

حول «الشعر والشعراء»

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣

شعراء المهجر

محبوب الخوري الشرتوني — ايليا ابي ماضي

يكتفي الناقد الاديب من شعراء المهجر بشاعرين اثنين هما محبوب الخوري الشرتوني وايليا ابي ماضي . فارق الاول هذه الفانية بعد ظهور الكتاب بقليل، (٢٧ حزيران ١٩٣١) وقد قام بما عليه نحو الادب ناشراً في «الهدى» ثم في جريدته «الرفيق» القصائد والمقطعات والابحاث النقدية واللغوية. ولا يزال الثاني يخدم الادب العربي الخدمة الجليلة في مجلته «السمير» النيويوركية . والشاعران من اولئك الذين تداولت الالسنة اسماءهم قبيل الحرب الكبرى ففاخروا وفوخر بهم ، وفاضلوا بين الشعراء وفوضل بينهم . وهما من الذين قاموا على شوقي فانتقدوه انتقادات تتفاوت رفقاً وشدة ، وتختلف صحةً وشططاً . فكان من كل ذلك سبب مهمّ دفع الناقد الى الاهتمام بشعرهما اهتماماً جاوز به الحدّ المتوسّط لسائر من يذكرهم في كتابه من الشعراء . فخصّ بمحبوب الخوري الشرتوني ٤٤ صفحة ، وبايليا ابي ماضي ٢٩ صفحة . على اننا وددنا لو اختصر في ذكر هذين الشاعرين — وقد كان بوسعه حصر ما قاله فيهما ببضع صفحات — وعرض شيئاً لذكر سائر شعراء المهجر ، ومنهم من انتقد شوقي ايضاً كميخائيل نعيمه. وهو ، لو فعل ،

لافاد الادب الفائدة الجلى ، باطلاعنا على طريقة نظر النقد « الانتقالي » الى ارباب ذاك المذهب الجديد في الشعر ، على تنوّع فنونهم ومصادر استلهامهم ، من نعيمه الى نسيب عريضه الى فوزي المعلوف الى القروي الى غيرهم من شعراء المهجر. بيد انه دلنا على شيء من آرائه في هذا الفنّ الجديد ، وبالتالي من آراء « الانتقاليين »، بسكوته عن هؤلاء الشعراء ، وبمناقضته لميخائيل نعيمه في حكمه على شعر ابي ماضي[1].

ومها يكن من امر لعلينا ان نتتبع آراء الناقد في الشاعرين المذكورين ، على ما بينهما من اختلاف في الاستلهام الشعري والثقافة النظمية.

اما محبوب الخوري الشرتوني « فكل انشائه ، ان نظماً او نثراً ، من السهل الحسن . وان اختلف في الغاية ففي الاول يسير مع العاطفة ، وفي الثاني مع الاهواء. » وباختلاف هذين الدافعين تختلف صفة الانشاء، فتحمله العاطفة « على التناقض في شعره ، ويرى المصلحة من وراء الثانية فتدفع به الى الاخذ باطراف النافع المفيد في نثره.»

ولكن ما يهمّ الناقد انما هو شعر الشرتوني فحسب ، وهو يجتهد في تصوير شاعريته كما يلي :

« مطبوع على الشعر ، وصانع ماهر ، ينظم البيت ، ويكتبه امامه ، ويأخذ في فحصه . فيسلّ وينضّد حتى يستقيم له على ما يوحيه اليه طبعه وطريقته فتقرأه ، ولا اثر لما نظمه قبل التمحيص. وقصائده ذوات الاربعين بيتاً مثلاً تقع في الغالب قبل التنقيح في مائة او اكثر. فيسقط النصف بعد التدقيق ، ثم يحذف من الثاني ما لا يلائم ذوقه . ويضع الباقي تحت النقد الشديد مدة ، حتى يمنّ الله على القصيدة بالظهور ، فتبرز في حلّة جميلة من الصياغة موشاة بالالفاظ المنسّقة ، متحاشياً فيها الوحشي من الكلام فيقبلها الذوق ولا يمجّها السمع . وهذه حسنة فتحت له الممرّ الى المقام الذي يشغله في دولة الادب.»[2]

ثم ان هناك اسباباً في شهرته غير هذه « الصياغة ». منها ، في نظر الناقد ، عطف جريدة « الهدى » على الشاعر . ومنها ، في نظره ايضاً ، ان الشرتوني « يسير على خطى امير الشعراء ، وينهج منهجه .» على كونه لم يتعدّ في الشعر سوى

---

١) الشعر والشعراء ، ص ١٧٧-١٧٩

٢) الكتاب ، ص ٦٤

الانواع القليلة فهو « محصور في دائرة ضيقة من مضمار الشعر الفسيح » لا يطرق الّا الرثاء، والمديح، والحنين، وقليلاً من الغزل والسياسة. وكأن الناقد يشعر هنا بالمزق الالهامي بين من جعلـه في « طليعة شعراء المهجر صياغة » وسائر شعراء المهجر الذين « لم يتركوا مسلكاً الّا وسلكوه » فيذكر اسماء القروي، وفرحات، والمعلوفين فوزي وشفيق، وايوب. ويكتفي بذكرها. ثم ينصرف معدّداً المطالع والابيات التي اخذها الشرتوني عن شوقي امّا اخذاً صريحاً واما ضمنياً. ويستنتج ان الشرتوني « لا يزال اشدّ الناس اعجاباً بشوقي. وليس التقليد الّا دليل هذا الاعجاب. »[1]

والغريب ان هـذا الاعجاب لم يمنع الشاعر الشرتوني من انتقـاد شوقي انتقاداً اثار حفيظة الكاتب — وشوقي عنده المثال الاعلى للشعر كما قدّمنا — فردّ على الشرتوني مبيّناً خطأه في النقـد، ومعدّداً هفواته عسى ان يكون له فيها ما يشغله عن تتبّع هفوات الغير.

واهمّ هذه الهفوات التناقض الكثير في القصيدة الواحدة من قصـائده، وقلة الشعور، وفساد الذوق في بعض الابيات، والاعراض عن الحقائق التاريخية في الركض وراء الخيال والاوهام، وتقليد الشعراء تقليداً ظاهراً بعض الاحيان، وشيء من النقائص التركيبية وابتذال الالفاظ والتعابير، وقسط وافر من الادعاء والفخر بالنفس، وكثير من الانين والحنين والبكاء. ولوعـة القلب حتى يصيح الناقد: « مسكين هذا القلب لو كان صخراً لذاب من كثرة النحت فيه! »[2]

« وعلى هذا النحو كل قصيدة من منظوماته تقسم الى اربعـة اجزاء: ثلاثة للحنين والانين ومدح نفسه او الفخر. والجزء الرابع للموضوع الاساسي. »[3]

على ان الشاعر، في مدح نفسه، يتحدّى شوقي ايضاً. فإن تكن هذه الصفة نقيصة فيه فهي نقيصة كذلك في « امير الشعراء ». وهو مـا يلمحه الناقـد الاديب، وما يتوقع ان يعترض عليه. فيرد بقوله ان هناك فرقاً: « فالامير لا يذكر نفسه الا مرة او مرتين في خمسين قصيدة. والاستاذ تكاد لا تقرأ له

١) الكتاب، ص ٦٧
٢) الكتاب، ص ٩٥
٣) الكتاب، ص ٩٤

منظومة لم يمدح نفسه فيها .»[1] فتكون المسألة ، والحالة هذه ، مسألة حساب ليس غير. أو لا يرى الناقد ان تبجح الشاعر بنفسه والمناداة بعظم شاعريته على رؤوس الملأ — اكثر من ذلك ام اقل ! — لمن اعظم دوافع الاشمئزاز ، ومن اوضح الدلائل على اضطراب الذوق ، سواء أكان ذاك الشاعر محبوب الخوري الشرتوني القائل عن نفسه :

هو في رياض الشعر بلبل شعرها ، والحادثون على الغصون حمامُ

ام احمد شوقي القائل :

واني لطير النيل ، لا طير غيره ، وما النيل الا من رياضك يُحسب

ام المتنبي القائل — وبيته المصدر الاولي للبيتين السابقين —

فدع كلّ صوتٍ غير صوتي ، فانني انا الطائر المحكيّ والاخر الصدى — ؟

واما ايليا ابو ماضي فيرمقه الكاتب بالجزء الثاني من ديوانه المطبوع سنة ١٩١٩ ، ثم « بالجداول » . ولكنه لم يقف على « الجداول » الّا بعد ان تقدّم به مجال النقد ، ونشر في « الهدى » ما بلغ ٢٢ صفحة من كتابه في نقد الشاعر . فدُفع من ثمّ الى تحبير سبع صفحات الحقها بالنقد المتقدم . وهي في مناقشة ميخائيل نعيمه ، كاتب مقدّمة « الجداول » ، اكثر منها في نقد هذا القسم من ديوان الشاعر . والسبب ان الاديب رأى ابا ماضي « هو هو في ديوانه « الجزء الثاني » و« الجداول » من حيث الشاعرية وسقطاته واحدة في الاثنين . » يقول : « من حيث الشاعرية لانه سلك في الجداول مسلكاً طرقه قليلاً في الاول . ولو قابلت بين هذا القليل في الاول والكثير في الثاني لوجدت ان جلّ ذلك لا كلّه اعلى طبقة من هذا . » واذاً فهو « والسيد ميخائيل نعيمه على طرفي نقيض من هذه الوجهة . »[2] وما ذاك الّا لان نعيمه يرى في الجداول شاعرية لم تظهر في الديوان .

اما شاعرية الديوان ، بل شاعرية ابي ماضي اجمالاً ، كما رآها الناقد ، فهي ذات مظهرين متباينين تارة « تصوّر الخيال تصويراً » تكاد تلمس معه الحقيقة وتختار له الالفاظ السهلة القريبة التناول فيجيء الشعر رائقاً شائقاً كالغدير

١) الكتاب ، ص ٩٢–٩٣ ٢) الكتاب ص ١٧٧

الصافي الشائقة امواهه عن الحصباء النقية» وطوراً «تفرط بالمبالغة في الواقع المحسوس فتردّه وهماً اخذاً بالمفردات الضخمة فيأتي كالصخور الصماء في المفازة الجرداء..»[1]

وقد استشهد الناقد على كل من هذين المظهرين. ثم عطف على الاهتمام بصناعة ابي ماضي فذكر له من حسناته حسن التنسيق، واخذه بعض الاحيان بالجديد من التعبير، ودلّ على الكثير من سقطاته التركيبية، والعروضية، والذوقية ايضاً، وما في قوافيه من القلقلة والاضطراب احياناً، ذاكراً ما اخذه عن شوقي «والغريب من امره انه لا يعترف لشوقي بالامارة، لكنه لا يأنف من الاخذ عنه.»[2] مشيراً الى عدة مقاطع يظهر فيها الابتذال وعدم الضبط، مما يدلّ على ان شاعرية ابي ماضي الفطرية «لم تهذبها الدراسة وان يكن قد صقلها بعض الصقل كثرة المران.»[3] وان صاحبها «قليل النقد لشعره، كثيره لشعر غيره...»[4] وكان من نصيبه ان ينتقد غير مرة بعض منظومات شوقي وحافظ، فذكر الاديب ذلك واردف: «لكنه لم يصب المرمى في واحدة منها. ولعلّه يتنكب بعد الآن عن انكار الفضل على ذويه وينظر الى غيره بالعين التي ينظر بها الى نفسه، وربما من ان يصحّ فيه قول ابي الطيّب:

ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريض   يجد مرًّا به الماء الزلالا «[5]

ولعلّ الملخص التالي يدلنا اوفر دلالة على رأي الناقد في شعر ابي ماضي، قال:

« ابو ماضي شاعر بالسجية. وفي شعره طلاوة يشوبها عدم التناسب فآناً تراه رقيقاً سهلاً وآونة متعملاً متعسّفاً. ينصب تارة انصباب الجداول، وطوراً يتقطر تقطر الاوشال. يجيء في بعض الاحيان بالجديد القشيب، وفي كثير من الاوقات بالمبتذل الرثّ.»[6]

ومن الواضح من هذا الحكم ان الناقد نظر خصوصاً الى المظهر الشعري والصناعة العروضية. يدلّ على ذلك انه حصر عدم التناسب في الرقة والتعمّل، واستشهد، في كتابه على «الجديد القشيب» و«المبتذل الرثّ»، بابيات تظهر هذه الصفات في مبناها فحسب. واذا كان الامر كذلك فيصبح من البديهي ان يكون الاديب الناقد وميخائيل نعيمه «على طرفي نقيض» في هذا الحكم،

١) الكتاب، ص ١٥٦
٢) الكتاب، ص ١٦٤
٣) الكتاب، ص ١٧٥
٤) الكتاب، ص ١٨٢
٥) الكتاب، ص ١٨٢
٦) الكتاب، ص ١٥٥

ونغيمه «يزانس بينه وبين صاحب الجداول قرابة روحية» ، ويطلب من الناس ان يقرأوا ابيات «قربه» غير ناظرين «الى قافية متقلقلة او كلمة شاردة.»[1] فيظهر من ثمّ اختلاف القياسين، وبالتالي اختلاف الحكمين. اذ بينا يجنح الاول الى المادية في قياسه ، ان صحّ لنا هذا التعبير ، نرى الثاني يميل الى القياس الروحي. وكلاهما ناقصان في نظرنا لان كلا الامرين ضروري للشعر فيتمّ احدهما الآخر ، ولا يمكن الفصل بينهما في القياس ، كما لا يمكن الفصل بين الجسد والروح. وان جاز لنا ان نأخذ على الناقد شيئاً فانما نأخذ عليه انصرافه ، في جلّ كتابه ، عن الاهتمام بهذه الروحانية في الشعر الذي ينقده ، وميله بالاكثر الى درس الصناعة النظمية درساً لا بأس بما فيه من دقة حسّ ولطف ذوق وفطرة شعرية ، كما قدّمنا ، ولكنه لا يكفي في الحكم على الشعر اجمالاً.

وقد وددنا لو اهتم الناقد بالنظر الى مصادر الشعر ومهابط الالهام في من يدرسهم من الشعراء ، ولاسيا شعراء المهجر. وهؤلاء ، ان يكونوا قد جدّدوا من شيء ، فانما يعود ذلك الى تحويرهم مصادر الشعر التقليدية. ولا خلاف في ان المستوحيات التي يأخذ بها جلّ شعراء المهجر هي غير المستوحيات التي لا يزال ينظر اليها اكثر شعراء الوطن. وكذلك القول عن مدلول الشعر ، فهو في نظر ارباب المذهب الجديد غيره في عرف اكثر من يذكرهم صاحب الكتاب. فضلاً عن ان مصدر الشعر ذاته يختلف في عقلية شعرائنا العصريين انفسهم ، فبينا يراه ميخائيل نعيمه مثلاً في ثنايا النفس البشرية وطيات القلب المتعدّدة ، يسمو اليه نسيب عريضه من خلال ستار تتناوبه الحيرة والشكوك... الى غير ذلك من تنوّعات الدقائق الشعرية المتعدّدة بتعدّد الحاسات والمخيّلات.

على ان هذا الامر يتطلب درساً دقيقاً يتعمق في تحليل كل شاعرية بمفردها ويتابعها على مظاهر تطوّرها المتعدّدة، ولم يكن لصاحب الكتاب من مجال للقيام بمثل هذا الدرس. بل اكتفى بعرض ما عنّ على باله من النظرات النقدية ، على الاسلوب الذي اجتهدنا في تحديده. ونحن نقبلها منهُ على هذا الشكل ليس غير ، شاكرين له عمله في تحديد هذه المحطة الانتقالية في شعرنا العصري.

[1] الكتاب ، ص ١٧٧-١٧٩

شي عن الربع الخالي – لاتينيون وسكسونيون

شيء عن الربع الخالي

الربع الخالي اسم لمنطقة شاسعة من الرمال تقع تحت اواسط جزيرة العرب الى الجنوب الشرقي بين الخطين ١٨ و ٢٤ من العرض الشمالي والخطين ٤٦ و٥٤ من الطول الشرقي. وهي منطقة لم يكن يعرف عنها العلماء شيئاً يذكر حتى ان الخرائط الجغرافية كانت الى عصرنا هذا تمثلها بيضاء خالصة. وكثيراً ما تاق الرواد والمغامرون من محبي الاكتشاف الى قطعها ودرس احوالها فلم يتسنَّ لهم ذلك. الى ان قيّض القدر لرجلين من مستشرقي الانكليز باتمام شيء من تلك الرغبة، فاخترقا الربع الخالي في السنتين الاخيرتين: احدهما، وهو المستر برترام توماس، من الجنوب الى الشمال الشرقي، وذلك في شتاء عام ١٩٣٠ – ١٩٣١؛ وثانيهما، وهو المستر سنت جون فلبي، من الشمال الى الجنوب، في شتاء ١٩٣٢. فكان من نتائج الرحلتين معلومات دقيقة عن تلك المنطقة من حيث تكوينها الجيولوجي واحوالها الاجتماعية، اودعها العالمان كتابين قيمين. لخّص المهمّ منها السيد فؤاد حمزة، وكيل خارجية الحكومة العربية السعودية، في كتاب يعدّه للطبع عن احوال نجد والحجاز، ونشر فصلاً منه في مجلة المقتطف (فبراير (شباط) ١٩٣٣، ص ١٧٧ – ١٨٦) قال:

.نعم ان الرحالتين توماس وفيلبي لم يتمكنا من زيارة كافة اصقاع الربع الخالي، وبقيت أمام طلاب الارتياد مساحات اخرى يجب تعرف احوالها، الا انهما وفقا بصورة جازمة الى ايضاح المهم من طبيعة هذه البلاد وتكوينها وما فيها من تضاريس طبيعية واحوال عمرانية واجتماعية مما نصفه بايجاز فيما يلي:

قال توماس: يتألف الربع الخالي من اراض صحراوية يكاد يكون قسماها الشرقي والجنوبي الى حد يقرب من ثلث مساحتها كلها عبارة عن اراضي الهضبات، والقسم الباقي عبارة عن اوقيانوس من الرمال المنتشرة نحو الشمال

والغرب . وتسمى الهضاب الجنوبية نجدًا ، والشرقية سيحا في قسمها الشمالي ، وجادة الحراسيس في قسمها الجنوبي ، حالة كون المناطق الرملية معروفة باسم الرمل او الرمال . . .

ويظهر مما امكن جمعه من نماذج الرمال والصخور المأخوذة من جهات مختلفة في الربع الخالي انه مكوَّن من سطح كلسي الاصل تكسو الطبقات العليا منه رمال يشوبها كثير من حبيبات الكلس والجير ، وقد وجد توماس وفلبي بقايا متحجرات بحرية ومائية في جهات عديدة لا يدع وجودها مجالًا للشك في ان البحر كان في الاعصر الجيولوجية غامرًا هذه المنطقة بمياهه المالحة في العصرين الجيولوجيين المعروفين باسم العصر الايوسيني والكريتاسي .

واما ارتفاع الربع الخالي عن سطح البحر فيختلف بين ١١٠٠ و٢٠٠٠ قدم .
وهذا في ما يلي ملخص وصف المنطقة التي اخترقها المستر توماس ، من الجنوب الى الشمال

المسافة بالاميال	نوع الارض
٢٠	١ ارض مرتفعة ذات لون احمر تكثر فيها الاكثبة
٤٠	٢ ارض مرتفعة اقل تضريسًا ذات رمل احمر وفيها تلال تشبه نمل الفرس
١٠٠	٣ سلاسل بيضاء متوازية تعترضها اودية ذات رمل احمر
٧٠	٤ رمال متاوجة ذات لون ابيض
٥٠	٥ رمال متاوجة ذات لون ابيض فيها تلال ذات لون احمر
٢٠٠	٦ هضاب وسبخات وتلال حمراء على التوالي

ولم يمكن التحقيق عن الرمال التي دعيت بالبحر السافي ، وهي الرمال الرقيقة التي تبتلع الانقال التي تطأها ، وانما قد تكرر ذكرها في جهات الاحقاف الى الغرب الجنوبي من الربع الخالي حيث ذكر الالماني فون فردي كثيرًا عنها ، واما توماس فانه ذكر ارضًا اخرى تدعى ام الصميم تبلغ مساحتها يومين على سير الجمل في كافة الاطراف فانها مغراق لا يمكن اجتيازها ، والغالب انها من نوع السبخات التي تصادف في سائر انحاء البلاد العربية ، فاذا كان الجوّ رطبًا كان العبور منها مستحيلًا لرخاوة طينتها وقلة مقاومتها للانقال .

واما المياه في الربع الخالي فإنها قليلة بل معدومة في جهاته الغربية وكلما اتجه الى الشرق ازداد مقدار المياه وقل عمقها داخل الارض . . .

ونظراً لانعدام الماء (ما عدا ايام الامطار) في المنطقة الواقعة الى الغرب من الطريق التي سلكها توماس وهي المنطقة التي يصح ان يطلق عليها اسم الربع الخالي فان الحياة الحيوانية والنباتية تكاد تكون معدومة فيها . وقد ذكر المستر فلبي انه بعد خروجه من واحة جبرين لم يشاهد على طول الطريق الممتد الى اواسط الربع الخالي ثم من نيفا الى سليل اي انسان كان ، مع ان المدة كانت ٥٣ يوماً على سير الابل . والذي يتراءى لنا ان قلة ارتياد البدو لهذه المنطقة انما هو ناشئ في الغالب عن قلة المياه والمراعي اكثر مما هو ناشئ عن المفاوز والمخاطر . . .

وقد ذكر لنا بعض من قابلنا من البدو الذين زاروا تلك الانحاء ان عشب الربع الخالي وماءه يجعلان دم الحيوان اسود فاحماً ، ولم يتسنَّ لنا تعليل هذه الظاهرة الفسيولوجية الّا بملوحة العشب والماء .

واما من حيث العمران فقد كان الشائع عند البدو ان في الربع الخالي آثار عمران عديدة خلفها الاقدمون من حضارات بائدة ، وكانوا يتناقلون اقوالاً متناقضة عن وجود خرابات في وبار القريبة من بئر مغينمة التي زارها المستر فلبي ووجدها بئراً غزيرة الماء ، وكان المقول ان وبار هذه تقع على بعد مرحلتين او ثلاث من واحة جبرين وعلى طريق القوافل التجارية من ظفار ، وانها كانت تظهر وتختفي بفعل الرياح الموسمية التي تقشع الرمل عنها فتظهر آثار خرائب وقلاع وقصور عديدة حتى دعيت باسم قصور ام الحديد والحديدة . وقد حقق المستر فلبي بنفسه عن هذه الاشاعات وزار المكانين المشار اليهما وهما يقعان ما بين درجتي الطول الشرقي ٥٠ و٥١ والعرض الشمالي ٢١,٣٠ و ٢٢ فوجد ان ما كان يسميه البدو آثار عمران وخرائب قصور دامرة ان هو الا بقايا مخروط بركاني عظيم خمد منذ ازمنة متطاولة وبقيت من آثار اندفاعه متحجرات بركانية محروقة ثقيلة الوزن وبلون الحديد فكان البدو يظنونها آثار قلاع وخرائب . وقد جلب المستر فلبي معه بعض حجارة هذه المنطقة وجلب ايضاً حبوب الدخان البركاني المتبلور الذي يسميه البدو باللؤلؤ الاسود . وشاهد كاتب الاسطر هذه الحبوب فاذا بها اصغر من حجم الحمص بقليل خفيفة الوزن سوداء اللون براقة

المظهر .

وسيكون من آثار رحلتي توماس وفلبي اللتين لخصنا ما كان من نتائجهما العلمية ان البياض الذي اعتاد الناس تركه على خرائط البلاد العربية باسم « الربع الخالي » سيملأ باسماء الاماكن والآبار والهضاب والرمال المختلفة ، وستنقص الحماسة التي كان يشعر بها جميع من يعنى بالبلاد العربية لمعرفة حقيقة هذا القسم ، وتصبح اسماء مغينمة وشنة ونيفا وابو بحر وهدبة ودكاكة وبني زيان والعويرق وغيرها من الاسماء المعتادة كالدهناء والصمان وخف وغيرها .

لاتينيون وسكسونيون

نشر مؤخرًا الاستاذ الشيخ انطون الجميل كتابًا في « شوقي » ، على قسط وافر من الاعجاب بالشاعر الكبير . فتناوله الاستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من ابعد الناس عن الاعجاب بشعر شوقي ، بشيء من النقد نشره في جريدة « الجهاد » المصرية . ولما لم يشأ ان يُقرّ اعجاب الجميل بشوقي ، ولما لم يشأ ان يشدّد الوطأة على فقيد مصر ولم تفرغ الجرائد بعد من نشر المراثي فيه ، اخذ يتلمّس للمعجب مخرجاً يبرّر مدحه لشاعر الامراء . فلم يرَ الا المقابلة بين طريقة النقد اللاتيني وطريقة النقد السكسوني . فالاولى سطحية ، على زعمه ، تأخذ خصوصاً بالمجاملة وما تتطلبه هذه من الاناقة وادب الصالونات ، كما سيأتي ، والثانية متعمّقة لا تهتم بالاوضاع الاجتماعية . واذًا فنقد الجميل المثقف بالثقافة اللاتينية اقرب الى المجاملة منه الى الحكم الحقيقي الواضح . وهكذا يعتقد الاستاذ العقاد بانه برّر موقف الاستاذ الجميل في ما اصدره على شوقي من احكام مدحية تخالف الحقيقة . . .

قد يكون الاستاذ العقاد على شيء من الحق في اعتباره هذه الاحكام . اما تعليله ذلك بسطحية المذهب اللاتيني في النقد فهو ما لا يوافقه عليه كل من عرف اصول النقد العالمي الحديث وادرك كم هو مدين لهذا المذهب اللاتيني الذي اجحف الاستاذ العقاد بتحميله تلك التبعة . وهو ما اهاب بالدكتور طه حسين الى نشر فصل قيّم في مجلة « الرسالة » الجديدة المّ فيه بكثير من صفات الثقافة اللاتينية والنقد الحديث ، فرأينا ان نقتطف منه ما يمسّ الموضوع عن قرب . قال بالعنوان اعلاه (الرسالة : العدد ٢ : ١ شباط ١٩٣٣ ، ص ٣٤)

واغرب ما في هذا الفصل الذي كتبه الاستاذ العقاد تناقض لست ادري كيف تورّط فيه . وهو فيما اعلم من اشد الكتاب المعاصرين في الادب استقامة في الحكم وايثارًا للقصد وحرصاً على الاصابة في التفكير . بدأ الاستاذ فصله بأن من العسير جدًا ان يوفق الناس الى الحق حين يعممون احكامهم على الامم

والشعوب . وعلل ذلك تعليلاً حسناً مستقيماً .ولكنهُ لم يلبث ان التمس لنفسه وسيلة للحكم العام على الامم والشعوب . بل على مـا هو أعم من الامم والشعوب ، على الاجناس . فزعم اولًا ان للاتينيين مذهباً في النقد وان للسكسونيين مذهباً آخر وان هذين المذهبين يختلفان فيما بينهما اشد الاختلاف .

وزعم بعد ذلك ان اخصّ ما يمتاز به المذهب اللاتيني « الاناقة » . واخص ما يمتاز به المذهب السكسوني « البساطة » او « الفطرة » . وفسر هذا بانك اذا قرأت الناقد الفرنسي رأيت رجلاً انيقاً لبقاً يقدم في احد الصالونات كاتبه الذي ينقده على الاوضاع الاجتماعية المألوفة مجاملاً متكلفاً وقد يومئ ايماء خفيفاً الى بعض العيوب ولكن على سبيل النكتة او على سبيل الحيلة في التماس الدفاع عن هذا الكاتب الذي ينقده او الرجل الذي يقدمه الى الصالون . اما الناقد السكسوني فهو لا يحفل بالاوضاع الاجتماعية . وانما يهجم بك فورًا على الحياة الفردية على الحقيقة الانسانية ، على الرجل من حيث هو رجل لا من حيث هو فرد من جماعة . ومعنى هذا ان نقد اللاتينيين سطحي مخـالف لاصول العلم وان نقد السكسونيين هو النقد العلمي الصحيح الذي تجد فيه الفائدة وتجد فيه الغناء . وانا احبّ ان يعذرني الاستاذ العقاد اذا قلت له في صراحة اني كنت انتظر منه كل شيء. الا التورّط في هذا الخطأ الصارخ والظلم المبين .

فليس من الحق بوجه من الوجوه ان الاختلاف بين النقاد اللاتينيين والسكسونيين عظيم الى هذا الحد الذي يتصوره الاستاذ . فليس هنـاك نقد لاتيني ونقد سكسوني ، وانما هناك نقد فحسب . نقد يعتمد على هذا الـذوق الفني العالي الذي احدثته الثقافة اليونانية اللاتينية وورثته عنها الامم الحديثة على اختلاف اجناسها وبيئاتها . فكل النقاد من الفرنسيين والايطاليين والالمانيين والانكليز قد قرأوا آيات البيان اليوناني واللاتيني وذاقوا آيات الفن اليوناني والرومـاني وكوّنوا لانفسهم اوكونت لهم هذه القراءة ذوقاً عاماً مشتركاً بينهم جميعاً يختلف في ظـاهره ولكنه لا يختلف في جوهره .لان هـذا الجوهر واحد مستمد من هوميروس وبندار وسوفوكل وارستوفان وافلاطون وسيشرون وتلسيت ومن اليهم . نعم وهذا النقد الحديث يعتمد على اصول اخرى غير الـذوق ، اصول

تشبه العلم او تحاول ان تكون علماً . وضعها ارسطاليس ومن جاء بعده من نقاد اليونان والرومان وسموها علم البيان . يعتمد النقد الحديث عند الامم الاوربية مها تختلف اجناسها على هذين الاصلين : الذوق الذي تكونه الثقافة اليونانية اللاتينية، والعلم الذي وضعه ارسطاليس واصحابه . وللاستاذ ان يدرس على مهل وفي أناة وروية من شاء من النقاد المحدثين في اي امة من الامم الاوربية فيرى ان هؤلاء النقاد جميعاً يتفقون في ان نقدهم يقوم على هذين الاصلين اللذين أشرت اليهما . فاذا اختلفوا بعد ذلك فانما يختلفون في الاشكال والصور باختلاف امزجتهم الخاصة وباختلاف البيئات التي يعيشون فيها ويكتبون لها.

عسير جداً ان يقال اذاً ان هناك نقداً لاتينياً ونقداً سكسونياً وان هذين النقدين يختلفان في الجوهر والطبيعة ، ثم اعتذر الى الاستاذ بعد هذا من أني لا استطيع ولا اظن ان احداً يستطيع ان يقرّه على رأيه في النقد اللاتيني ، بل انا لا اقضي العجب من تورط الاستاذ في اعلان هذا الرأي الغريب . فليس من الحق ان النقد اللاتيني سطحي ، وليس من الحق ان هذا النقد يعتمد على الاوضاع الاجتماعية ويهمل الانسان من حيث هو انسان . هذا كلام لا يمكن ان يقبل مع ان من الاشياء المقررة التي يتلقاها الشبان في المدارس ان قوام الادب الفرنسي الكلاسيك انما هو بالضبط : الغاء هذه الفروق والاوضاع الاجتماعية التي تمتاز بها الامم والشعوب فيما بينها بل التي تمتاز بها البيئات المختلفة في امة بعينها ، والاتجاه الى الانسان من حيث هو انسان ، الى هذا القدر المشترك بين الناس جميعاً من العقل والشعور . على هذه القاعدة يقوم الادب الفرنسي الكلاسيك كما يقوم عليها الادب اليوناني القديم . والادب كله بما فيه من شعر ونثر ونقد . فكيف يقال في ادب يقوم على هذا الاصل انه سطحي على الظواهر والاوضاع الاجتماعية .

مطبوعات شرقية جديدة

Reallexikon der Assyriologie, *herausg. v.* **E. Ebeling** *u.* **B. Meissner**, *II Bd.* 1, Ber - Burnaburiaš. *Berlin, Walter de Gruyter*, 1933, *pp.* 1-8°. *Prix* : 6 *Marks*.

دائرة معارف العلوم الاشورية : الكرّاس الاول من المجلد الثاني

ان هـذا التأليف الطويل النفس الذي تكلمنا سابقاً عن مجلـده الاول (المشرق ٣٠ [١٩٣٢] : ٥٠٣) يتابع سيره ببطء ، ولكن دون توقف ، جارياً على اسلوبه المعروف من حيث الدقة والعلم . وها اننا نطلع اليوم على الكرّاس الاول من المجلّـد الثاني ، آملين ان لا تنقضي السنة ١٩٣٣ الا وقـد وصلنا الكرّاس الاخير من المجلد الثالث على الاقل . ومن المنتظر ان يبلغ هـذا الكرّاس الى الحرف E او F ؛ فنتوقع ، والحالة هـذه ، ان ينتهي الكتاب في السنة ١٩٤٢ او ١٩٤٣ . فلنصبر ، والصبر جميل .

اما الكرّاس الحاضر فاطول بحث فيه هو مـا خصّه لهمن - هوبت (Lehmann-Haupt) بالمؤرخ بيروز (ص ١ - ١٧) جمع فيه كلّ ما له علاقة بشخصية هذا المؤرّخ البابلي او بآثاره ، وقد كتب باللغة اليونانية بعد ان اطلع على المحرّرات المسمارية المعروفـة في عصره . ثم هناك فصل آخر كتبه اوتو شرودر (Schrœder) ، المتوفى مؤخراً ، موضوعـه الكتب والمراسلات باللغة المسمارية (ص ٦٢–٦٨) وهو بحث جزيل الفائدة للتاريخ بما فيه من المراسلات السياسية من ملك الى ملك آخر ، (بما يذكرنا برسائل العمارنة) ومن ملـك الى عمّاله . وكذلك هو جزيل الفائدة لدرس اللغـة بما فيه من الرسائل التجـارية والرسائل الخاصة ، ولدرس العادات والاخلاق وما اليها . ومما يستحق الـذكر ايضاً مقـال أُنكَر (Unger) في المكاتب « *Bibliothek* » ، ومقال ويدنر (Weidner) وأُنكَر بعنوان « بليتو » ومعناه : « البرق ، والرعد » . ثم كثير من المقالات في اسماء الامـاكن مثل « بيت عـديني » و« بيت امكّاني » و« بيت دكّوري » الخ . . . وكلّها ابحاث شاملة ، وافرة الفائدة لتاريخ الاراميين منذ القرن الثالث عشر ق . م . وقد جمع الكتاب كل الاماكن المبدوءة بـ« بيت »

دون استثنا. ، حتى انه يمكننا ان نعتبر اثنين او ثلاثة منها ، مذكورة على عهد حروب اسرهادّون في القرن السابع ق. م. ، من الاماكن التي توافق محلات نعرفها اليوم كـ«بيت صوبوري» مثلاً القريبة من صيدون، فانها قد تكون «عين صُفَر» . . .

يتضح مما تقدّم الخدمة الجلى التي يؤديها هذا المعجم لدارسي الاشوريات ، في موضوعات العمران ، والدين ، والتاريخ ، والجغرافية وما اليها من الشؤون المتعلقة بتاريخ شرقنا القديم. س. د.

Macnaughton (Duncan): A schame of egyptian chronology, with notes thereon including notes on Cretan and other Chronologies. *London, Luzac and C°*, 1932, *XII* - 405 *pp. gr in*-8°, 17 *planches*.

بحث في التوقيت المصري

قد يعلم قرّاؤنا الكرام ان التوقيت المصري يثير مشاكل غامضة صعبة الحلّ . وان هذا الكتاب برهان جديد على ذلك . فان المؤلف ، الذي نشر سابقاً بحثاً لا نعرفه في التوقيت البابلي ، يعرض اليوم لمشكلة التوقيت المصري، دون ان يأمل كثيراً بالوصول الى حلّ نهائي. على انه يعتقد ان التوقيت الطويل اقرب من غيره الى الحقيقة فيحاول البرهنة عن ذلك . وهو وافر الاطلاع على احدث المؤلفات في الموضوع يذكر ما تضمنته ويناقشها بدقة ورباطة جأش . ثم يعرض طريقته مستنداً فيها الى البراهين الفلكية والروزنامات ، والى لوائح الملوك ومقابلة التوقيتات بين التاريخ المصري والتاريخ البابلي.

هذا وليس لنظرية التوقيت الطويل كثير من المريدين في الوقت الحاضر: فان طريقة بورخرت (Borcherdt) طرحها كل العلما. . وقد انتهى اكثر المؤرخين الى الاخذ بتوقيت المؤرخ الالماني ميَير المتوفى مؤخراً ، بعد ان حوّروا فيه بعض الشي. . وهو توقيت يجعل عصر الدولة المصرية الاولى حوالي السنة ٣٣٠٠ ق.م. بل قد يصل بها الى حوالي السنة ٣٠٠٠ . فاذا عرفنا هذا فلنذكر ان صاحب الكتاب الذي نصفه اليوم يرقى بهذه الدولة الى نحو السنة ٥٧٠٠ ق. م. ! جاعلاً بين الدولة الثانية عشرة واوائل الدولة الثامنة عشرة مدة ١٥٠٠

سنة تقريباً ، بينا يجعل ارباب التوقيت القصير هذه المدة تتراوح بين ٦٠٠و٢٠٠ او ٣٠٠ سنة .

واذا كان لا بدّ من استخلاص نتيجة من هذا الاضطراب فاننا نقول ان ليس من الممكن حلّ المشكل . ولذلك اسباب تفوق الحصر . وان ما نراه اقرب الى الواقع والحقيقة فهو التوقيت القصير لا غيره . واني لا اعتقد ان نظرية المؤلف تصادف مريداً واحداً في اوربة ، ولا في انكلترة ، على رغم مهارة صاحبها والروح الفكاهي الذي يتصف به في مناقشته للنظريات المعاكسة .

على اننا نأمل ان حفريات ما بين النهرين ستلقي نوراً جديداً على هذه المشاكل التوقيتية . نقول : حفريات ما بين النهرين ، لا حفريات مصر . لان ما يمكن ان نستفيد منه في الموضوع هو المقابلات التوقيتية . وهي اوفر امكاناً في مناطق الشرق القديم التي اخذت تتعدّد فيها الحفريات ، منها في وادي النيل ، ومكتشفاته ، على تعدّدها ، تظهر من نوع واحد وعرضة لمختلف التأويلات .

س . ر .

Dr Amin Gemayel: L'hygiène et la médecine à travers la Bible. 4° de 296 p. et 10 planches. *Librairie orientaliste P. Geuthner, Paris,* 1932.

الصحة والطب في الكتاب المقدس

هو ثمرة كثير من التفتيشات الدقيقة والابحاث العلمية قام بها المؤلف دارساً الكتاب المقدّس في عهديه القديم والجديد ، فجمع ورتّب كل ما ورد فيه من ذكر الامراض والاوبئة التي تُمنى بها البشرية . وقرن بها النصائح الصحية المعروضة متفرّقة في اسفار الكتاب . ثم شرح كل ذلك وعلّق عليه الآراء المفيدة المستمدّة من علمه في الطبّ ومن ايمانه الراسخ ، راغباً في ان يستخرج من خلال لغة الكتاب ووصفه الاسمَ العلمي للمرض المذكور ، وتشخيص سيره وانتشاره . نذكر من ذلك مرض غلام القائد الروماني في كفرناحوم ، وحادثة الاعرج الذي شفاه القديس بطرس ، كما ورد في « اعمال الرسل » ، وكثيراً غيرها . . . والخلاصة ان الكتاب جزيل الفائدة لا للاطباء فحسب ، بل لشرّاح الكتاب المقدّس وعلماء الاخلاق ، ولجميع طلّاب العلوم الكتابية . ه . ل .

Blass Debrunner : Grammatik des neutestamentlichen Griechisch. 6e *édit. revue et augmentée. Vandenhoeck u. Ruprecht, Göttingen*, 1931. *XX* - 368 *p. in-8°*

غراماطيق للغة العهد الجديد اليونانية

هي طبعة جديدة لكتاب معروف منذ زمن طويل حتى انه اصبح مدرسيًا في موضوعه . وقد قام بها الاستاذ ا. دوبرونّر زائدًا على الكتاب ملحقًا كبيرًا جمع فيه كل ما استفاده علم تلك اللغة من اساليب البحث الحديث . على ان يعتذر في المقدمة عن انه لم يتمكن من اعادة تأليف الكتاب نفسه لما اعترضه من الموانع المادية وهو لو فعل لدُفع الى جعل ثمن الغراماطيق غاليًا جدًا . ب.م

Les plus beaux sermons de St Augustin, *réunis et traduits par le chanoine* **Humeau.** *t.* 1r, *LII* - 300 *pp Prix, broché* : 15 *fs. Bonne Presse, Paris.*

اجمل عظات القديس اغوسطينوس

غاية هذه المجموعة ان يُستخرج من العظات التي كان يلقيها القديس اغوسطينوس على شعبه ما لم يقوّ كرور الايام على التقليل من قيمته التهذيبية والادبية ، وهو كثير مما لا يزال السامع والمطالع يتمتّع بجماله ويستفيد من حكمته، بفضل ما خُصّ به ذاك المعلّم العظيم من بعد النظر ودقة التحليل وسموّ الفنّ. وقد جمع المؤلف عددًا من تلك العظات ونقلها الى لغة فرنسوية عصرية.

Johannès Wehrlé : Victor Delbos, membre de l'Institut, professeur de philosophie à la Sorbonne [*Les Maîtres d'une génération*] *Bloud et Gay, Paris.*

ڤيكتور دلبوس

هذا الكتاب حلقة من سلسلة جديدة تكلمنا عنها مؤخرًا في المشرق (٣٠ [١٩٣٢]: ١٥٤) بعنوان « قادة جيل ». وقد خُصّ باحد اساتذة الفلسفة السابقين في جامعة السوربون ، وبما امتاز به في تعليمه الذي تابعه طول حياته اولًا في مظاهر التعليم الثنوي ، ثم في التعليم العالي . على انه اشتهر خصوصًا بميله الى تاريخ الفلسفة وبجهوده القيّمة في درس سبينوزا وكانت . يظهر المؤلف كل هذا مصورًا العالم والرجل الممتاز بايمانه المسيحي وحبّه الفائق للعدل والانصاف. وقد عرف المؤلفُ الاستاذَ رفيقًا في دار المعلّمين فخالطه عن قرب . ثم افترقا فانخرط المؤلف في سلك الاكليريكيين حتى اصبح من اكليروس باريس ، وتابع الثاني سيره في مهنة التعليم. ج.ل.

تاريخ الآداب العربية للسنة الثالثة الثانوية

تأليف عباس علي صيام

١١٢ ص. منيرة – المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢ – الثمن: ٤٠ قروش

هو تاريخ مختصر حتى الاقتضاب وضعه احد المدرّسين بمدرسة الامير فاروق بالقاهرة وفقاً «للمنهج الجديد المخفّف الذي قررته وزارة المعارف» المصرية. وغايته اطلاع الطلبة على ملخّص عام في الادب العربي. الّا ان الكتاب كثير الاقتضاب وافر الايجاز في نظرنا حتى انه ليصعب فهمه، فضلًا عن تذوّقه، على من وُضع لهم. بيد ان المؤلف اخبر بمقدور تلامذته. وهو يسير على الاسلوب المعروف من الاختصار في تراجم الشعراء والكتاب وذكر بعض الامثلة من نظمهم ونثرهم، مكتفياً بذلك عن الاجتهاد في درس الشخصيات او تجربة النقد الادبي. ثم انه لا يزال يذكر — في طبعة كتابه الثالثة المنقّحة — بين الاسباب التي دعت الى تسمية «العرب» باسمهم «انهم معروفون بين الامم بالبيان في النطق، والفصاحة في القول، يقال: اعرب الرجل عمّا في ضميره: اذا افصح وابان.» (كذا ص ٣) ولا يزال يقول ايضاً ان لبيد بن ربيعة «عُمِّر في الاسلام نحو ستين سنة لم يقل فيها الّا بضعة ابيات اشهرها:

الحمد لله اذ لم يأتني اجلي

حتى اكتسيت من الاسلام سربالا» (كذا ص٢٨)

اما في النهضة العصرية فلا ذكر، طبعاً، الّا لمصر. هذا وقد وددنا لو اعفى المدرّس صغاره، تلامذة السنة الثالثة الثانوية، من معرفة بعض مظاهر «الادب» في عصر ابي نواس ووالبة بن الحباب... ف. ا ب.

تاريخ الآداب العربية للسنة الرابعة الثانوية

تأليف محمد موسى عفيفي وعباس علي صيام

٩٠ ص. متوسطة – المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣١ – الثمن: ٥ قروش

وهذا الكتاب ايضاً أُلّف وفقاً «للمنهج المخفّف الذي قررته وزارة المعارف» قام به مؤلف الكتاب السابق بالاشتراك مع زميله في مدرسة الامير

فاروق السيد محمد موسى عفيفي . فكان اوفى من السابق ، لانه حصر موضوعه في عصر الاسلام والعصر العباسي الاول فحسب ، واختصّ بتلامذة السنة الرابعة . فكان من الطبيعي ان يتبسّط شيئاً في الموضوعات . الّا اننا لا نرى هذا التبسّط متساوياً في بعض الاقسام . فبينا يخصّص المؤلفان لصفات الشعر العباسي ١٠ صفحات (٥٥—٦٥) ، لا يجودان على الادب العباسي الّا بصفحتين (٦٩—٧١) يحشران فيهما الجاحظ .والمبرّد وابن قتيبة وتآليفهم ... وعلى الجملة نرى ان هذا الكتاب ، وان شارك السابق بشيء من المآخذ التي ذكرناها ، اجمع ، وارصن ، واسهل هضماً على كل حال . ف.١٠ب.

كتاب الاغاني : الجزء الخامس

لابي الفرج الاصفهاني

مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢ — ٥٤١ ص . بقطع كبير

لا حاجة الى الافاضة بمحاسن هذه الطبعة النفيسة، وقد تقدّم لنا كلام طويل في ذكر الاجزاء السابقة (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ٩٥٧ وفيها ذكر المراجع الى وصف الاجزاء السابقة) . فنكتفي بالقول ان هذا الجزء اتّصف بجميع تلك الصفات مع زيادة في الضبط والاعتناء ايضاً .جمع اخبار ستة من الشعراء والمغنين اولهم النابغة الجعدي ،وقد استطرد المؤلف من اخباره الى ذكر معلومات وافرة عن حرب البسوس . ثم ترجم للهذلي المغني بالاختصار . وتوسّع شيئاً في ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ، وفي ذكر مالك بن ابي السمح . اما القسم المهم فيختص بترجمة ابراهيم الموصلي ، وخصوصاً بترجمة ابنه اسحق . ف. ا. ب.

مريض الوهم

مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢ — ٨٣ ص . صغيرة — الثمن : ٧ فرنكات

هي من هزليات موليير المعروفة عرّبها نثرًا الاستاذ الياس ابو شبكه ، ونشرتها مكتبة صادر بعد ان نشرت «المثري النبيل» للمؤلف والمعرّب نفسيهما .

* سياحتنا الصيفية الى بعلبك — المرمل وضواحيها * المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٢ — ٣٢ ص صغيرة — وصف سياحة قام بها الاستاذ يوسف النلبوني رئيس حزب الاخلاق الصالحة في بيروت في الانحاء المذكورة .طبعه مزيّناً بالرسوم على نفقة الحزب وفي سبيل اعماله .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ك ٢ — ١٥ شباط ١٩٣٣

لبنان وسوريا — أُلغيت في لبنان ادارة الدوائر الاقتصادية وادارة الدوائر العقارية، والحقت دوائر الاولى بادارة الزراعة العامة، ودوائر الثانية بادارة المالية.

* اقر المجلس التمثيلي الموازنة الجديدة دخلاً وخرجاً وهي تبلغ ٨,٤٦٢,٨٨٧ ل. س.

* أُخلي سبيل اكثر الموقوفين بشأن قضايا الدوائر العقارية والنافعة في لبنان. وقد منع قاضي الاحالة محاكمة بعضهم.

* شبت النار في ما كان قد بقي في حي الكرنتينا، في بيروت، من أكواخ الارمن الخشبية، فالتهمتها برمتها، وهي مسكن نحو ٦٠٠ عائلة لا يقل افرادها عن الثلاثة آلاف.

مصر — افتتح في ١٨ ك ٢ مؤتمر السكك الحديدية الدولي تحت رعاية جلالة الملك. وقد اشترك فيه مندوبون من اكثر ممالك اوربة.

* تقرر ايفاد بعثة تؤلف من ضابطين في الجيش المصري الى انكلترة لتعلم الطيران.

فلسطين — نشرت الحكومة قانوناً جديداً للصحافة اهم ما فيه ان يكون محرر الجريدة بالغاً الـ ٢٥ من عمره، ومجتازاً الامتحان في التعليم العالي الفلسطيني او ما يعادله. وانه يجوز للمندوب السامي تعطيل الجريدة.

العراق — احرزت الوزارة اغلبية كبيرة في الانتخابات الثنوية. وسيكون تأليف المجلس الجديد من ٦٠ نائباً من انصار الحكومة، و ٢٠ من الوطنيين و ٨ من المستقلين.

المطبعة الكاثوليكية — المدير المسؤول : يوسف ماهر